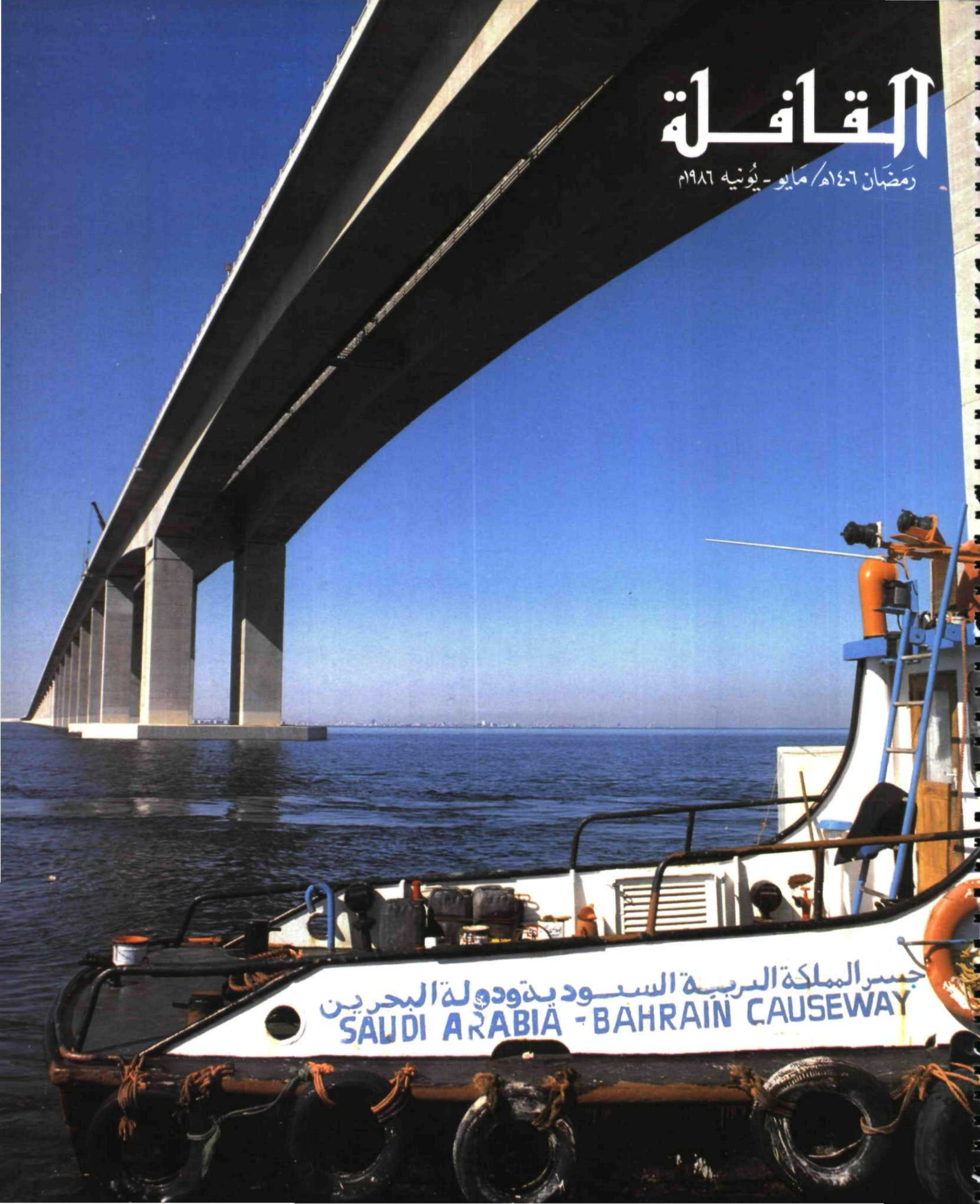

القافلة
رمضان ١٤٠٦هـ/ مايو - يونيه ١٩٨٦م
جسر المملكة العربية السعودية ودولة البحرين
SAUDI ARABIA - BAHRAIN CAUSEWAY



جانب من قصر المربع بالرياض. تصوير : علي عبدالله خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

THE CARAVAN MAY/JUNE 1986

رمضان ١٤٠٦هـ/ مايو - يونيه ١٩٨٦م

العدد التاسع/المجلد الرابع والثلاثون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً



المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز



جسر السعودية البحرين .. أمنية تتحقق لشعبي البلدين



الجراد ... الخطر الزاحف مع الريح

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩

الظهران - المملكة العربية السعودية

صممت وطبعت بمطابع الوفاء بالدمام

Designed & Printed By Al-Wafa P. Press- Dammam



بقلم : بهاء الدين الزهوري / سوريا

القرآن الكريم كتاب الاسلام الخالد ، كرم الله به الانسان وشرفه ، وجعله معجزة تخاطب العقل والقلب والفكر والوجدان ، معجزة حية قائمة لا تنقضي بانقضاء العصور . وقد أقر المفكرون والعلماء والأدباء ، بأن القرآن الكريم نمط من القول غير مسبوق ، وشهدوا بما له من سحر التأثير وروعة البيان وكمال الاعجاز .

أثر القرآن في الشعر والبلاغة

برزت منذ بدء الدعوة الاسلامية ظاهرتان : اولاهما ان هذا الكتاب العربي المبين قد تمت له الصدارة على كل ما انتج العرب وينتجون من أدب وبيان ، وهو في الوقت نفسه ، دستور الحياة وميزان السلوك والأصل الأول للتشريع . والثانية ، ظاهرة الاعجاز البلاغي ، وهي ظاهرة لم تعرفها الآداب الأخرى ، وقد اشتغل علماء العربية بها ، وتعتمد ، على بحث الأساليب ، وتعمق أسرار البلاغة ، والموازنة بين الوان الكلام الرفيع .

إن الكتب التي صدرت في نهاية القرن الثاني الهجري ، تعد ثروة كبيرة تتناول بلاغة القرآن وإعجازه من جهتيه النظرية والعملية ، ومن هذه الكتب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ، و « معاني القرآن » للفراء ، و « مشكل القرآن » لابن قتيبة ، و « طبقات الشعراء » لابن سلام ، و « البيان والتبيين » للجاحظ ، و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، و « الكامل في اللغة والأدب » للمبرد .

وحين نزل القرآن كان الشعر في رفيع منزلته ، ولكن بيان القرآن كان معجزا ، لم يستطع الشعر مغالبته . فارتفعت مكانته في النفوس مبشرا بالاسلام وتعاليمه ، ونزل الشعر عن مرتبته ، وارتضى مكانا ثانيا بين فنون القول عند العرب . وصار الشعر عونا للناس على فهم القرآن وتفسيره ، وجاء ابن عباس ليقول للناس : «اذا صعب عليكم شيء من معاني القرآن فالتمسوه في الشعر ، فالشعر ديوان العرب» . وبدأ الناس يهتمون بجمعه للاستشهاد به على معاني الغريب في القرآن .

أما فيما يتعلق بأثر القرآن على البلاغة ، فقد كان القرآن الكريم من بين الحوافز التي حفزت علماء البيان والأدب على الاهتمام بفن الأسلوب الجيد ، والتعبير الفني الرائع ، بما جمع في اسلوبه من ضروب البلاغة والفصاحة والاعجاز .

كانت قريش جماعات مختلفة لها آراؤها المتشعبة ، وأهواؤها المختلفة ، مع اتحاد الكثرة الكاثرة على انكار القرآن بادىء ذي بدء ، فان أفرادها من رؤوس هذه الجماعات لم يستطيعوا ان يكبتوا صيحات الاعجاب في نفوسهم ، فندّ عنهم ما ينبىء عن روعة بلاغة القرآن وسرعة نفاذه ، وعمق تأثيره .

فقد كان الوليد بن المغيرة المخزومي يتحرى سماع القرآن من رسول الله ، ﷺ ويعلن إعجابه ببلاغة القرآن حتى ضجر ابو جهل منه وخاصمه ، وسعى اليه ليثنيه عن ابداء إعجابه ببلاغة القرآن ، فقال له الوليد في صراحة ناصعة : «والله ما في قريش من رجل أعلم بالشعر أو رجزه أو قصيده مني ، ولا والله ما يشبه الذي يقول محمد شيئا من هذا الشعر أو ذلك الرجز . والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه يحطم ما تحته» . فأسف ابو جهل لما سمع وقال في انكار : «لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، ففكر طويلا» ، ثم قال : « هذا سحر يؤثر» .

الدراسات القرآنية

بدأت الدراسات القرآنية بمحاولات فردية متفرقة، لمعرفة المرامي اللغوية المحدودة، أو العقلية المتعلقة بمعاني القرآن، وكان هذا طبيعيا لأن الأمة في أول الأمر كانت أحوج الى التشريع في نموها من الأدب، فالمجتمع الناشىء أحوج الى ما ينظمه ويرسي قواعده، ومع مرور الزمن ازداد اهتمام الناس بالدرس الأدبي، والتدقيق في فنون القول، ونقد الكلام. لذلك نجد ثمة محاولات شتى ترمي الى معرفة أساليب التعبير أو المجاز على حد تعبيرهم الأول.

ففي كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، الذي ظهر في أواخر المائة الثانية الهجرية شرح لبلاغة القرآن، ولفنون التعبير في كلام العرب، وتطورت دراسة ابي عبيدة، وتدخلت عوامل جديدة، فكانت دراسة الجاحظ في كتابه «نظم القرآن»، ودراسة ابن قتيبة في كتابه «مشكل القرآن». وهاتان الدراستان كونتا اتجاها واحدا، ومرحلة مشتركة من مراحل تطور الدراسات القرآنية في أسلوب القرآن والأدب عامة.

إن الدراسات القرآنية قد أثارت بعض المسائل الفنية والجمالية في الأسلوب، والتي كان لها الفضل في توجيه دراسات بلاغة القرآن في مراحلها المختلفة، فقامت جهود العلماء في دراسات القرآن لحل اللغز الذي حير الناس، وهو «الاعجاز» فتوصلوا الى نتائج خدمت الأدب والبلاغة معا.

أسلوب القرآن

لقد انفرد القران الكريم في اسلوب خاص به، فهو لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم، فمفرداته مفرداتهم، وجمله جملهم، وقواعد صوغه قواعدهم، من حروف العرب تألفت كلماته، ومن كلماتهم تألفت تراكيبه، وعلى قواعدهم جاء تأليفه، ومع هذا فقد أعجزهم بأسلوبه الفذّ، ومذهبه الكلامي المعجز.

وسأحاول قدر المستطاع بيان جمال اسلوب القرآن، من خلال دراسة بعض العناصر التي أثرت هي وغيرها في تربية الذوق الأدبي عند العرب.

★ المفردة القرآنية: وهي تمتاز بميزات ثلاث رئيسية:

- جمال وقعها في السمع.
- اتساقها الكامل في المعنى.
- اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى.

لننظر الى قوله تعالى في سورة التكوير، الآية (١٧ــ١٨) في وصف الليل والصبح **﴿والليل إذا عسعس، والصبح اذا تنفس﴾** ألا نشعر بأن كلمتي «عسعس» و «تنفس» تبعثان في خيالنا صورة المعنى محسوسا مجسما دون الحاجة للرجوع الى معاجم اللغة؟!... وهل نستطيع ان نتصور إقبال ظلام الليل، وتمدده في الآفاق المترامية بكلمة أدل من «عسعس»؟ أو هل نستطيع ان نتصور انفلات الضحى من مخبأ الليل بكلمة أروع من «تنفس»؟ بل هل نجد في المعاجم أدق من هاتين الكلمتين في التعبير عن هذين المعنيين؟

إن الأمثلة في القرآن اكثر من ان تعد وتحصى، وكلها تؤيد بأن جرس المفردات القرآنية، يوحي بمعناها قبل ان يوحي مدلولها اللغوي عليه. لنقرأ قوله تعالى في سورة الفجر، الآيات (٢٧ــ٣٠): **﴿يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي الى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي﴾**. لنتأمل ما ضمت هذه الآيات من مدود: يا ــ ها ــ جعي ــ الى ــ را ــ ضية ــ جنتي. وما ضمت من حركات الكسر: جعي ــ بك ــ خلي ــ في ــ دي ــ خلي ــ نتي.

لنحاول ثانية قراءة الآيات، مرات ومرات، لنجد الحزن والرضى والطمأنينة قد امتزجت امتزاجا تاما، وهيهات هيهات لانسان مهما أوتي حظا من الذوق والأدب ان يبلغ هذا المستوى المعجز ولو كان محمدا، ﷺ.

إن الجمال الصوتي، والتناسق الفني، والايقاع الموسيقي، هو اول شيء احسته الأذن العربية يوم نزل القرآن، وتلاه الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهذا التناسق الذي لا يمكن التعبير عنه، وهذا الجمال اللغوي كان سورا منيعا لحفظ القرآن بحيث لو داخله شيء من كلام الناس لاعتل مذاقه، واختل نظامه.

بين الجزالة والرقّة

لا يوجد لدينا معجم تاريخي يبين تطور الكلمات على مر الزمن، لنعرف متى انتقلت كلمة الجزالة من معناها اللغوي الى معناها النقدي فالبلاغي. لقد قيل ــ على سبيل المجاز ــ رجل جزل إذا كان ذا عقل قوي، وشعر جزل إذا تماسك وقوي اسلوبه، وتقابل الجزالة الرقة.

لنقرأ قوله تعالى في سورة الحاقّة، الآيات (١ــ٢٤): **﴿الحاقّة، ما الحاقّة، وما أدراك ما الحاقة، كذّبت ثمود وعاد بالقارعة، فأمّا ثمود فأهلكوا بالطاغية، وأمّا عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية، وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة، فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية، إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية، لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية، فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة، وحُملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فيومئذ وقعت الواقعة، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية، فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه، اني ظننت أني ملاق حسابيه. فهو في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾**.

في هذه الآيات الكريمة نجد ان المشهدين اللذين يتولى عرضهما هذا النص الكريم من اقوى المشاهد الانسانية روعة وجمالا. فمن ناحية اللفظ، تأتي كلمات الحاقة والقارعة والأخذة والرابية والطاغية والريح الصرصر والعاتية والسماء المنشقة، ذات جرس يأخذ الاسماع وقد نطق بها التعبير القرآني جزلا بفواصله ونظمه وتصويره.

أما عن الرقة، فقد قال تعالى في سورة غافر، الآيات (٢٦ــ٢٨): **﴿وقال فرعون ذروني أقتلْ موسى ولْيدع ربه إني أخاف أن**

يبدّل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد. وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعضُ الذي يعِدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب ﴾.

تعرض هذه الآيات حوارا هادئا في جلسة رسمية، يقف فيها فرعون موقف الجريح الحائر، بعد ان ظهرت نبوّة موسى مؤيدة بالمعجزات الخارقة، اذ آمن به السحرة مصدقين، وكانوا عُدَّة فرعون على تكذيبه، فهو مضطر الى الملاينة مع أنصاره بعيدا عن جبروته.

إن بعض المتحدثين عن الرقة في الأسلوب الأدبي يظنونها لا تكون الا في وصف الأزهار والرياحين، او في أحاديث الغزل والحنين، أو أبيات الرثاء والتأبين دون ان تتعدى ذلك الى أساليب الحجة وبراهين النقاش. وقد فاتهم ان الرقة البيانية منحى انساني يصور عواطف التودد ونوازع الملاينة، لا في رسائل الشوق، ومواقف العتاب فحسب، بل في كل موقف يجنح الى الاستمالة العاطفية والاقناع العقلي.

وها هو ذا مؤمن من آل فرعون، قد صور القرآن جداله الهادىء في آيات شفافة تمثل اعلى ما تنحسر عنه روائع الفن الادبي في اعلى مراقيه، متخذا من أساليب التودد والاستعطاف وبراهين الاقناع والافحام ما يشف عن عاطفة هادئة يستقر ينبوعها الصافي في صور صاحبها كما تستقر صفحة الغدير الهادىء بعيدا عن هبات الريح.

التشبيه والاستعارة

جعل القدماء التشبيه رابطا بين امرين، أو مفرقا بينهما، وأغفلوا وقع اثره في النفس، وشعورها به.

إن القرآن الكريم، كتاب التصوير البلاغي الأول، لا أقول ذلك عن حماسة مسلم يتعصب، بل عن دراسة كاتب يتحقق.

والقرآن حين يشبه محسوسا بمحسوس، يرمي احيانا الى رسم الصورة كما تحس بها النفس، ونجد ذلك في قوله تعالى يصف سفينة نوح: ﴿ **وهي تجري بهم في موج كالجبال** ﴾ (هود: ٤٢). فهذه الجبال تصور للعين هذه الامواج الضخمة كما تصور لنا ما يحس به ركاب هذه السفينة.

ومن خصائص التشبيه القرآني، مقدرته الفائقة في اختيار ألفاظه الدقيقة المصورة الموحية، وهذا ما نجده في كل تشبيه قرآني، فلقد آثر القرآن كلمة ﴿**بنيان**﴾ في قوله تعالى: ﴿**ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**﴾ (الصّفّ: ٤) لما تثيره في النفس من معنى الالتحام والاتصال والاجتماع القوي، مما لا يثار عند كلمة «حائط» أو «جدار» مثلا.

ويهدف التشبيه في القرآن الى التأثير في العاطفة، فترغب او ترهب... ومن أجل ذلك كان للمنافقين والكافرين والمشركين نصيب وافر من التشبيه الذي يزيد نفسيتهم وضوحا، فقال تعالى: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام، بل هم أضل، أولئك هم الغافلون**﴾ (الاعراف: ١٧٩) في هذه الآيات نرى كيف مهد لهذا التشبيه، التمهيد الصالح، فجعل لهم قلوبا لا يفقهون بها، وأعينا لا يبصرون بها، وآذانا لا يسمعون بها، ونحن نراهم في انفسنا بمنزلة البهائم، لذا فان التشبيه لا غرابة فيه.

الاستعارة

وهي لون من ألوان التصوير البلاغي في القرآن، فالألفاظ المستعارة، ألفاظ موحية لأنها أصدق أداة تجعل القارىء يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه وتصور المنظر للعين، وتنقل الصورة للأذن، وتجعل الأمر المعنوي ملموساً محسوساً.

قال تعالى في سورة مريم الآية (٤): ﴿**قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا**﴾...

نلاحظ ان كلمة «واشتعل» لم تقف عند معنى انتشر فحسب، ولكنها تحمل معنى دبيب الشيب في الرأس في بطء وثبات، كما تدب النار في الفحم مبطئة ولكن في دأب واستمرار، حتى اذا ما تمكنت من الوقود اشتعلت في قوة لا تبقي ولا تذر، كما يحرق الشيب ما يجاوره من شعر الشباب حتى لا يذر شيئا الا التهمه، وأتى عليه.

وأهم العناصر التي جسدت جمال الاستعارة في القرآن الكريم، هي:

★ اختيار الالفاظ المتناسقة والمؤتلفة مع بعضها ومع معانيها.

★ استخدام الألفاظ الموضوعة للدلالة على الامور الحسية في الدلالة على الامور المعنوية، فتصبح بذلك الثانية محسوسة ملموسة، كما في قوله تعالى في سورة الشعراء الآيتان (٢٢٤ ــ ٢٢٥): ﴿**والشعراء يتَّبعُهم الغاوون، ألم ترَ انهم في كل واد يهيمون**﴾. فقد استعملت كلمة «واد» الموضوعة أصلا للدلالة على المنخفض بين مرتفعين في الدلالة على الأغراض الشعرية التي مقرها الأفئدة فتحولت هذه المعنويات الفكرية المجردة الى اودية سحيقة، وقد اختار القرآن لفظة «الاودية» لما بين الفكر والوادي من تناسب في العمق والبعد والخفاء والغموض.

ان ما ذكرناه من عناصر اسلوب القرآن، ما هو الا غيض من فيض، فهناك عناصر أدبية وبلاغية ونقدية عديدة لا يتسع المجال في هذه الدراسة الموجزة لشرحها، منها فن صياغة الآية، والكناية القرآنية، والفاصلة، وهيكل السورة، والمثل في القرآن، والقسم وبلاغة الاقناع، والايجاز والاطناب، والحقيقة والمجاز، وقضية السجع والاعجاز القرآني، والقصة في القرآن ☐

مراجع البحث:

ــ د. محمد زغلول سلام، «أثر القرآن في تطور النقد الأدبي».
ــ د. محمد رجب البيومي، «البيان القرآني».
ــ د. بكري شيخ امين، «التعبير الفني في القرآن».
ــ عبدالعظيم الزرقاني، «مناهل العرفان».
ــ سيد قطب، «التصوير الفني في القرآن».

تطور الشعر العربي بين جيلين

بقلم : د. جميل علّوش / الأردن

من يراقب تطور الشعر العربي منذ مطلع هـذا القرن حتى ايامنا هذه، يلمس تغيرا كثيرا في ملامح هذا الشعر بحيث يحس كأنه ينتقل من عصر الى عصر، ويعبر من حضارة الى حضارة. فليس هناك من ينكر ان هذا الشعر الذي نقرأه غير الشعر الذي كان ينظمه شوقي وحافظ ومطران في مطلع هذا العصر.

ولا يظنن ظان أني أقصد بالشعر الذي نقرأه في أيامنا هذه ما يسمى بالشعر الحر أو الشعر الحديث، فأنا ما زلت متمسكا بالشعر الكلاسيكي. والموازنة التي أنا منهمك باجرائها لن تخرج عن حدود الشعر الكلاسيكي. لأننا لو أردنا ان نتتبع التطور الذي أدخلته حركة الشعر الحديث في هيكل الشعر العربي ومضمونه لطال بنا السير وعجزنا عن تحقيق الاهداف.

إن ما أود أن استعرضه هنا في هذا المقال، هو التطور الذي طرأ على الشعر العربي الكلاسيكي منذ مطلع هذا القرن حتى الآن. ولقد مثل هذا الشعر في هذه المدة التي تقارب ثلاثة ارباع القرن جيلان من الشعراء، كان لكل منهم شأن في بناء نهضة الشعر والمساعدة على تطوره والأخذ بيده حتى بلغ ما بلغ من تقدم ورقي في أيامنا هذه.

الجيل الأول ويمثله شوقي وحافظ ومطران. والجيل الثاني ويمثله الجواهري وبدوي وعمر ابوريشة.

ولقد كان من الممكن أن نلحق الأخطل الصغير بزمرة الجيل الثاني، لولا أننا نحس أنه أكثر التصاقا بالحركة الرومانسية اللبنانية التي كان من أعمدتها الياس أبوشبكة ويوسف غصوب وامين نخلة وغيرهم.

لقد كان هذان الجيلان يمثلان قوة الشعر العربي وعنفوانه، واقصى ما بلغه في تاريخه الطويل من إتقان وتجويد ورقة وحرارة عاطفة بحيث نستطيع أن نزعم أن هذا الشعر قادر بما يملكه من سمات جميلة وخصائص أصيلة، أن يبذ الشعر العربي في ذروة قوته وتفوقه على عهد أبي تمام والبحتري والمتنبي. فاذا لم يكن يبذه ويتفوق عليه فهو على الأقل يضاهيه ويجري معه في مضمار. مع أننا لا نبالغ إذا قلنا إن هذا التفوق ليس موضع شك ولا تساؤل. فشعرنا المعاصر أكثر عمقا وأوسع نظرة وأجمل صناعة من شعر الدولة العباسية في عنفوان نهضتها وقمة حضارتها. والقضية واضحة وليست بحاجة الى البراهين والأدلة. فنحن أكثر شغفا بقراءة هذا الشعر المعاصر منا بقراءة شعر البحتري وأبي تمام.

ولا شك أن النهضة الفنية العلمية الثقافية التي شملت العصر من جميع نواحيه كانت السبب في أن يبلغ شعراؤنا المعاصرون من الابداع الفني ما لم يستطع ان يبلغه غيرهم من شعراء القرون الأولى. إن شوقي وحافظا ومطران ثم الجواهري وبدوي الجبل وعمر أبا ريشة يمثلون خلاصة الشعر قديمه وحديثه. ولا أظن أن أحدا من شعرائنا القدامى يسبقهم أو يتفوق عليهم في مجموعهم.

وليس من المتيسر اجراء موازنة بين هؤلاء وشعراء العصر العباسي وهم البحتري وأبوتمام والمتنبي. ولكنني في قرارة نفسي أفضل هؤلاء على اؤلئك. ولي من الأدلة والبراهين ما أستطيع به حسم المسألة لو كان في الوقت متسع. هذا بالاضافة الى أن القصد ينحصر في دراسة التطور الذي لحق بالشعر بين الجيلين اللذين أتينا على ذكرهما من الشعراء.

سنضع كما قلنا شوقي وحافظا ومطران في جانب، والجواهري وبدوي الجبل وعمر أبا ريشة في جانب. ونحدد خطوط التطور ومظاهره من خلال الموازنة العامة بين هذين الجيلين. وسنحصر هذا التطور في نقاط محددة:

★ أولا: نظم شعراء الجيلين في شعر المناسبات. بيد أن الجيل الثاني يختلف عن الأول في أنه كان كثير الاحتفال بالمناسبة والاهتمام بما يستوحيه فيها. فلا يشارك في مناسبة لا تمت بصلة الى القضية الوطنية. أما الجيل الأول فكان يشارك في مناسبة شخصية لا تخص الشعب ولا الوطن كاحتفالات الزواج وافتتاح المدارس والمعاهد والجامعات والمصارف الجديدة. وهذا كثير من شعر مطران ولكنه موجود أيضا في شعر شوقي وحافظ بصورة أقل وأضيق. ولا بد من التنويه بأن حافظ ابراهيم كان أقل من زميليه احتفالا بهذه الموضوعات، وأكثر اخلاصا لنفسه في التعبير عن موقعه في هذه المناسبات والأحداث. واذا راجعنا دواوين الشعراء الثلاثة وجدنا شعر المناسبة وبخاصة الرثاء اغزر عند مطران منه عند زميليه. وإن كان حافظ كما ذكرنا أكثرهم حرصا على أن يكون صادقا وأمينا في نقل مشاعره.

ونحن لا ننكر أن الجواهري وبدوي الجبل وعمر أبا ريشة شارك كل منهم في مناسبات مختلفة والجواهري له قصب السبق في هذا المضمار ولكنه، والحق يقال ـ حريص أكثر من غيره على حسن استغلال المناسبة والتعبير المخلص عنها، قادر على تفجير ما في نفسه من طاقات الشاعرية وحرارة العاطفة، بحيث تكون المناسبة كأنها شيء يهمه وحده دون بقية الناس. ومن هنا سر نجاحه في ما أخذ عليه في شعر المناسبات، فمعظم شعر الجواهري مستوحى من مناسبات كان للجواهري صلة عميقة بها. ولذلك استطاع أن يعطيها حقها من حيث حرارة العاطفة وعمق الفكر وصحة المعنى. ومع ذلك فلا الجواهري ولا بدوي الجبل ولا أبو ريشة نزلـوا الى مستوى المناسبات الخاصة التي لا تشرف الشعر ولا الشعراء. فقصائد الشعراء الثلاثة التي قيلت في المناسبات هي بصفة عامة قصائد مصفاة مقطرة، اذ لم تكن المناسبة غاية في ذاتها بل كانت معبرا الى قضية وطنية أو اجتماعية، أو متنفسا يبث الشاعر من خلاله ما يضطرم في نفسه من عواطف ويتأجج فيها من أحاسيس. فلم ينظم أحـد من شعراء الجيل الثاني في مناسبة زواج أو افتتاح مصرف كما صنع مطران. فشعراء الجيل الثاني كما سنرى يختلفون عن شعراء الجيل الأول.

★ ثانيا: شارك شعراء الجيل الأول في السياسة فهاجم أحمد شوقي اللورد « كرومر » وهاجم رياض باشا وقال في مشروع « ملنر » وكذلك قال حافظ في رثاء مصطفى كامل ومدح سعد زغلول ورثائه ومدح حسين كامل. وكلها مناسبات كان حافظ يتطرق فيها الى القضية الوطنية فيتخذ المواقف التي كانت تسمح له بها الظروف. ولكنه على الرغم مما ينسب اليه من فضل في ميدان الوطنية نراه قصير النفس في هذا المجال منخفض الصوت يحسب حساب الانكليز، وقد يمدحهم أحيانا كما قال في قصيدة يخاطب فيها السلطان حسين كامل:

فوال القوم إنهمو كرام ... ميامين النقيبة حيث حلُّوا
وليس كمثلهم في الارض قوم ... من الأخلاق قد نهلوا وعلُّوا
فمادِدهم حبال الود وانهض ... بنا فقيادنا للخير سـهل

ولا شك أن مطران كان أكثر وعيا للقضية الوطنية ولكنه كان حذراً ومجاملا كذلك. ولكن قصائده في كبت الحريات وقانون الصحافة وفي حرب «البوير» كلها تمثل اتجاها وطنيا واعيا وصلبا يذكر لمطران في هذا المجال لكنه لم يكن شيئا بالنسبة لمن جاؤوا بعده في موضوع الوطنية والثورة.

أمّا الجيل الثاني فقد كان أكثر انغماسا في الحركة الوطنية . فالجواهري بديـوانه ذي الاجزاء السبعة سجل حافل للحركة الوطنية في العراق بأبعادها الفسيحة وتاريخها الطويل وميادينها الواسعة. ولقد كان الجواهري صوتها الناطق ولسانها المعبر. ونحن لا نشدد على الناحية السياسية من منطلق الترويج لشعار معين أو الدعوة الى موقف خاص. ولكن القصد من هذه الموازنة في مجال السياسة التشديد على ما يتميز به الشاعر المكافح في ميدان الشعر نفسه، عن الشاعر المجامل المتخاذل. فليس ذكر المواقف الوطنية لذاتها بل لما توحيه من شعر عذب رقراق. فالشاعر الذي يعطي الوطنية حقها هو شاعر يرتفع بشعره عن مستوى الكلام الصحفي العابر الى الكلام الخالد الذي تبقى تردده الأجيال. وكذلك كان عمر وبدوي الجبل فكلاهما شارك في الحركة الوطنية العربية في سوريا، ويظهر أثر ذلك في شعرهما الملتهب المضطرم.

ولقد دعوت في مواطن مختلفة الى التمييز بين مقاييس الشعر ومقاييس الوطنية. لأننا نريد ان يكون الشعر خالصا لوجه الشعر لا مطية للشعارات والدعوات الموجهة من أية جهة كانت. فقد كان انتاج الجيل الثاني الشعري بصفة عامة لهبا ساطعا ونقمة عارمة. ولقد ساعدتهم الظروف التي عاشوا فيها على أن يكونوا شعراء مجيدين محلقين. ولو أردنا أن نحشد براهين على قولنا من شعرهم لطال المجال وضاق المقام.

★ ثالثا: الشعر يقوم في أساسه على العاطفة. ولقد عبر شعراء الجيل الأول عن عواطفهم الى الحد الذي كان يقبله عصرهم وبالطريقة التي كانت تناسبهم. بيد أن شعراء الجيل الثاني أحسوا أن الشعر ليس عقلا وفكرا فقط، بل هو تعبير عن العواطف المتأججة والأحاسيس المتفجرة ولهذا نرى الجواهري أكثر الشعراء حدة في الموقف وزخما في المشاعر وتطرفا في القول. وكذلك بدوي الجبل، وكذلك عمر أبوريشة. ولا شك أن هذا الاهتمام بالعاطفة هو من ظواهر الفهم الصحيح للشعر الجيد، والتقدير الحسن لقيمة العنصر العاطفي في الشعر. فنحن حين نقرأ لهؤلاء نحس أنهم صدقوا في نقل أحاسيسهم وأحاسيس المجتمع بصورة عامة. وقد ينبري لنا من يتوهم أننا نغض من قدر شوقي وحافظ ومطران. وهذا غير صحيح. فمحبتنا لهؤلاء لا تحد. بيد أننا في البحث عن الشعر الصحيح نلمس أن شعر الجيل الثاني اكثر صدقا وأعمق مضمونا وأرق خيالا. والسبب في ذلك على ما أظن أن شعراء الجيل الثاني كانوا أكثر فهما لوظيفة الشعر وأهدافه من شعراء الجيل الأول. وربما يعزى ذلك الى الحركات الأدبية والسياسية التي كانت تعم وطننا العربي بفضل احتكاكه بالشرق والغرب أو ربما كان الموضوع ناجما عن التطور الشامل الذي لا يهدأ ولا يتوقف. ومهما يكن من شيء فان شعر الجواهري وبدوي الجبل وعمر أبي ريشة أكثر تألقا وأعمق مضمونا وأشد حرارة من شعر من قبلهم.

★ رابعا: عني شعراء الجيل الأول بوصف مخترعات العصر، فقد وصف حافظ ابراهيم القطار ووصف شوقي الطائرة وكذلك وصف خليل مطران الطائرة من خلال قصيدة رثاء في أحد الطيارين. وكانت قصيدة شوقي في وصف الطائرة من القصائد البارزة في فن الوصف. ولكن الجيل الثاني تغاضى عن هذا الموضوع، وأشاح بوجهه عنه. فنحن لا نجد بين شعراء الجيل التالي من وصف شيئا من ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن هذه ليست وظيفة الشعر. واذا كان بعض هؤلاء يعتقد أن وصف المخترعات الحديثة هو من دلائل التجديد وآياته فقد كذب العقاد هذا الوهم وأثبت أن واصف الطائرة ليس أكثر تجديدا من واصف الناقة، وأن المسألة في الحالتين تتوقف على مدى صدق الشاعر فيما يقول. ولذلك لم يجد شعراء الجيل التالي أنفسهم مضطرين للنظم في مثل هذه الموضوعات التي لا تمت بصلة الى أية قضية وطنية أو اجتماعية. ولهذا فإن الشعر في نظر هؤلاء لم يكن يقال الا في موضوعين هما الوطن والمرأة. وما تبقى فهو ليس بذي قيمة.

★ خامسا: في مجال العروض استخدم شعراء الجيل الأول معظم البحور على مختلف صورها ومظاهرها. وقد أظهروا في هذا الاستخدام جدارة ما بعدها جدارة. أما شعراء الجيل التالي فقد اختلفوا عنهم في مجال العروض والاوزان. ونستطيع أن نحصر هذا الاختلاف في النقاط التالية:

- أكثر شعراء الجيل التالي من الأوزان القصيرة والمجزوءة وبخاصة عمر أبو ريشة.

- كان استعمال الجيل التالي للأوزان أضيق من استعمال الجيل الأول ، فقد استغنوا عن بحور كثيرة كان الجيل الأول يكثر منها . وحسبي أن أضرب على ذلك مثالا واحدا هو البحر الطويل . فقد استخدمه شوقي وحافظ ومطران بكثرة . أما الجواهري وبدوي الجبل فقد استخدماه بصورة أقل . أما عمر فلم أجد في ديوانه « شعر من عمر أبي ريشة » إلا قصيدة واحدة على البحر الطويل مطلعها :

حشت خطاي الحمر عن هيكل القدس
وفي حمأة الارجاس كفرت عن رجسي

وأخشى أن يكون البحر الطويل في طريقه الى الانقراض . فقد طرحه المحدثون ولم يستفيدوا منه شيئا وبخاصة أنه ليس من البحور الصافية . وهي البحور المتماثلة التفعيلة .

- كان القدامى يكثرون من القوافي الكثيرة الحركات والتي يطلق عليها علماء العروض اسم « المتراكب والمتدارك » في مثل قول الشاعر :

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا
فأضيق الأمر أدناه من الفرج

فهذه القافية فيها ثلاثة متحركات بين ساكنين ويطلق عليها اسم « المتراكب » وقول الشاعر :

محن الفتى يخبرن عن فضل الفتى
والنار مخبرة بفضل العنبر

وهذه القافية فيها متحركان بين ساكنين ويطلق عليها اسم المتدارك . ولكن شعراء الجيل الثاني خففوا من استخدام هذه القوافي ولجأوا الى نوع آخر يطلق عليه اسم « المتواتر » في مثل قول الشاعر :

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

فهذه القافية فيها متحرك واحد بين ساكنين .

ولقد اكثر شعراء الجيل الثاني من مثل هذه القوافي وابتعدوا عن القوافي المتحركة . ولعل السبب في ذلك أن القوافي القليلة المتحركات اكثر إيحاء لاعتمادها على حروف العلة وما تساعد عليه من مد الصوت .

★ سادسا : بقي أن أذكر أن شعراء الجيل الثاني كانوا أكثر ميلا الى الغموض والاعتماد على الايحاء اكثر من الجهر وقرع الأذن بالموسيقى القوية الشديدة . وفي حين لم يستهن الجواهري والبدوي وأبوريشة بالعنصر الموسيقي ، إلا أنهم كانوا أقل من الجيل السابق اهتماما بالمقابلات والموازنات والمحسنات اللفظية وغير ذلك مما يجعل الموسيقى قوية عاصفة لا رقيقة ناعمة كما هي عند الجيل التالي .

★ سابعا : بقي شيء واحد لم نأت على ذكره في هذه الموازنة . وهي أن اهتمام شوقي وزميليه باللغة كان أكثر من اهتمام الجواهري وزميليه من النواحي التالية :

- كان الجيل الأول يهتم باستعمال الألفاظ الغريبة ، ففي شعرهم من الغريب شيء كثير ، ولكن شعراء الجيل الثاني كانوا أقل اهتماما منهم بهذا الصدد ، إلا الجواهري فقد اكثر من « الحوشي » و « المهجور » . اما البدوي وعمر فشعرهما مصفى من الاكدار . ولذلك لم يكن بحاجة الى شرح لفظي .
- يبدو أن شعراء الجيل الأول كانوا اكثر اطلاعا على علوم العربية . ولذلك ظهر هذا الاطلاع في شعرهم من خلال حرصهم على مراعاة قواعد الفصاحة والبلاغة . أما الجيل الثاني فقد جعل ذوقه ، لا علمه ، هو الفيصل في تقرير ما هو مناسب وغير مناسب في هذا الموضوع . ولذلك فان شعر الجيل الثاني اكثر صفاء ورونقا .
- كان شعراء الجيل الأول اكثر قدرة على النظم من شعراء الجيل الثاني واسرع تلبية لمطالب المجتمع في المناسبات . ولذلك كثر شعرهم واتسعت دواوينهم ، لأن في شعرهم كثيرا مما أملته المناسبات الشخصية العابرة .

هذه نبذة عن الموازنة بين جيلين متتاليين من الشعراء ، كان من الممكن أن تطول وتمتد لولا أن المجال لا يتسع ، فلا شك أن مجال الموازنة بين هاتين الطائفتين من عمالقة الشعر خصب وهو بحاجة الى مزيد من التأمل والتمحيص □

طيور الحبارى

بقلم : د. أحمد محمد غندور / المدينة المنورة



إرتبط اسم طائر الحبارى مع هواية الصيد بالصقور وقد اخذ اصحاب هذه الهواية يبدون قلقا ازاء ظاهرة تدني اعداد طيور الحبارى في اماكن كثيرة من العالم. وقد عقدت عدة مؤتمرات دولية للتشاور حول بيولوجية هذه الطيور من حيث انواعها المختلفة ومتطلبات البيئة التي تعيش فيها وعاداتها وأساليب تغذيتها وتكاثرها وهجرتها.

الأنواع المختلفة والشكل العام

هنالك ثلاثة أنواع من طيور الحبارى وهي: النوع «الاوربي الآسيوي ــ Otis tarda» وهو لا يقيم بتاتا في الجزيرة العربية، والنوع «المهاجر» ويرتاد الجزيرة العربية خلال موسم الشتاء ثم يتركها عائدا الى مواطنه الاصلية في آسيا واوربا والاتحاد السوفييتي، ويسمى هذا النوع: «Chlamy-dotis undulata» اما النوع الثالث، وهو «الحبارى العربي ــ Arabian Houbara Ardeotis Arabs »، فيعد من النوع المقيم في الجزيرة العربية. ويتميز النوع الاول عن النوعين الآخرين بكبر حجمه، ويكثر وجوده في المناطق الباردة وكذلك في ايران. أما النوع الثاني فيتراوح وزنه بين ٤,٥ وثلاثة كيلوغرامات بينما يتميز النوع الثالث بعنقه الرمادي اللون، وبجسمه البرتقالي اللون القريب من لون البيئة التي يعيش فيها.

البيئة التي يعيش فيها الحبارى

يعيش الحبارى في بيئة ذات أرض منبسطة تسمح له بالرؤية الى مسافات شاسعة كوسيلة من وسائل الدفاع عن النفس لديه، بحيث يتاح له رصد اعدائه وخصومه. وتتميز البيئة التي يعيش فيها طير الحبارى بانها أراض رملية صحراوية أو شبه صحراوية يكثر فيها نبات «Halophytic» وهو من نوع «Zilla spinosa»، ونبات «Artemisia monosperma». كما يؤثر الحبارى العيش في الأماكن التي تتراوح نسبة هطول الأمطار فيها بين ١٥٠ و ٢٠٠ مليمتر، وكلما قلت نسبة هطول الامطار تدنت أعداد الحبارى. وبالرغم من ان الحبارى يتفادى الأمطار فانه يكيّف هجرته المحلية وطرق معيشته مع هطول الأمطار، اذ انها توفر له النباتات والحيوانات التي يتغذى عليها.

عادات طيور الحبارى

تتفادى طيور الحبارى الانسان، وعندما تشعر باقتراب عدوها او خصمها منها، تلتصق بالارض فيتعذر على عدوها رؤيتها وذلك نظرا لتشابه لونها بلون التربة.

ومن خصائص طيور الحبارى انها تؤثر الجري على الطيران الا في اوقات الهجرة أو عند اقتراب الاعداء منها، فتلجأ الى الطيران. وبالرغم من ان حركة اجنحتها ابطأ من حركة اجنحة الطيور الأخرى الا انها تستطيع الطيران بسرعة كبيرة، وهي تعيش ضمن تجمعات تتراوح اعدادها بين خمسة ومائة طير.

التغذية

يتغذى طائر الحبارى على النباتات المحيطة به، ففي فصل الربيع أو بعد موسم الأمطار، يتغذى على جذور النباتات البرية واوراقها. اما في فصلي الصيف والخريف فانه يتغذى على حبوب النباتات البرية، وعلى الزواحف مثل السحالي، والخنافس والعناكب وصرصور الحقل، وفي بعض الاحيان على القواقع الصحراوية.

تكاثر الحبارى

تختلف اوقات التكاثر بين أنواع الحبارى الثلاثة الآنفة الذكر من موسم الى آخر. فالنوعان الأول والثاني يتكاثران في أواخر

ع. قباني

شهر مارس وأوائل ابريل من كل عـــام ، واما النـــوع الثالث «الحبـــارى العربـــي» فيتكاثر في اواخر شهر مايـــو ، وأوائل يونيو من كل عـــام . كما تختلـــــف عادات التكاثر لدى الانواع الثلاثة ، ففي النوع الاول يتزاوج الذكر مع ٣ ــ ٥ من الاناث ، وفي النوعين الثاني والثالث تنقسم تجمعات الحبـارى الكبيرة اثنـاء موسم التكاثر الى عدة تجمعات صغيرة تتكون من ذكر وانثى فقط . ويقوم طائر الحبارى الذكر برقصات جميلة يجتذب بها انتباه الانثى . ويستطيع الباحثون ، من خلال ذلك معرفة اعداد الحبارى اذ ان شكل الذكر يكون مميزا جدا ، كما يمكن اجراء احصاء شامل لمجموعات الحبارى اثناء موسم التكاثر . ومن المعروف عادة ان انثى الحبارى تضع ما بين بيضتين واربع بيضات في حفرة تحفرها في الأرض أو في كومة من التراب وتحضن الانثى البيض مدة تتراوح بين ٢٣ و ٢٥ يوما ، ولا تضع اكثر من مرة واحدة في العام ، وفي العادة يفقس البيض في الفترة ما بين ابريل ويونيه من كل عام ، وتنضم الصغار الى الأم . وبعد ثلاث سنوات ، يصل طائر الحبارى الى مرحلة النضوج الجنسي فيبدأ في التكاثر . ولعل قلة اعداد البيض وصعوبة التكاثر من الاسباب التي ادت الى تدني اعداد طيور الحبارى .

الهجـــرة

في شهر اكتوبر من كل عام تصل اعداد قليلة من النوع الثاني من طيور الحبارى الى المملكة العربية السعودية ، ولكن مع سقوط الأمطار وتوفر النباتات البرية تتزايد هذه الأعداد وتتسع الرقعة التي تنتشـر فيها لتشمل سهول تهامة ونجد . كما يكـــثر وجودها في المناطق الشمالية من الممـــلكة . ويعتقد العلماء ان تكاثر هذا النـــوع من الحبارى في فصل الشتاء ، في ربوع شمـــال المملكة ربما يعود الى فرض الحماية التامة على الحبارى في ايران ، التي يهاجر منها الى المملكة حيث يمضي بقية فصـــل الشتاء فيها . ومن ثم يهاجر الى موطنه الأصلي خلال شهري ابريل ومايو من كل عام . ولكن هناك معلومات تشير الى ان أعداداً كبيرة من الحبارى تتكاثر في المملكة وان مجموعات منها تبقى فيها .

اما النوع الثالث من الحبارى وهو «الحبارى العربي» ، فاعداده اقل من اعداد النوع الثاني ، وهو يقيم طوال العام في المملكة . لذلك فليست له هجرة منظمة .

وهكذا ، فان الحبارى مهدد بالانقراض من الجزيرة العربية ، كما انقرض قبله طائر النعام . ولعل في ذلك ما يشجع على اجراء المزيد من الدراسات عن ظواهر الحياة المختلفة لهذا الطائر □



بالحبِّ تأتي..

شعر : عبدالحفيظ محمد عبدالحميد/القاهرة

بالحبِّ تأتي كلَّ عامِ
بالمنى نلقاك مبتسماً
بالخيرِ ، والاحسانِ والنِّعَمِ

★ ★ ★

بالجودِ تسعى بيننا
بالنور تملأ أرضنا
بالحلمِ يسري في القلوبِ
تعود بالكـرَمِ

★ ★ ★

تأتي فنسعَدُ باللقاء
وترتوي منك القلوبُ الظامئاتُ
تمدُّهـا بالصـــبر
بالايمـــــان تشفيها من السَّقَمِ

★ ★ ★

الله أكبر كلما أقبلْتَ
يا رمضـــــانُ
تسعى بيننـــــا
نلقـــاك مبتسـمينَ
في أحلامِ مبتَسِـمِ

★ ★ ★

الخير تنشــرُه على الدنيــا
فيشــرحُ صدرَهــا
والحبُّ يبعثُ في الحياةِ جمالَها
فتفيضُ نـــوراً
في دُجـــى الظُّلَـــمِ

يا أيها الشهرُ الكريمُ تحيةً
من كلِّ قلبٍ مؤمــــــنٍ
بالنـــورِ تبعثُـــهُ
فيبعثُ في الحياةِ محبـــةً
تسْـــمو بنـــا
تسْمو وتصعَدُ للفضائل والهُدَى

★ ★ ★

فيكَ التقَيْنا . نعبدُ الرحمن
صُمْنا خاشعين ، وطائعين
يهزُّنــا للحـــقِّ إيمــانٌ
تعمَّقَ في النفوسِ وأخلَدا

★ ★ ★

فيـكَ التقيْنا عُصْبَـــةً
للحــــقِّ ننصُرُه
ونرفعُ شأنه ، نبني قواعِدَهُ
ليسطعَ نـــوره
فوق البسيطةِ مشْرِقــا
في كلِّ رُكْــنٍ
ســوف يبقى خالِــداً

★ ★ ★

صُمْناكَ إيماناً وصُمْناكَ احتساباً
وارتفعنا في صيامِـــك
بالنفوسِ عن الصغائرِ والنقائِص
واهتدينا للفضائـــل
وابتعَدْنا بالنفوسِ عن الرَّدَى

يا رمضان

حتى تأصَّلَ كلُّ ذلك في القلوبِ عقيدةً
سِرْنا عليهـــا
في الحيـــاة
بها ندينُ ونعبدُ الرحمن
لا نرجو سواه لنا
بالحق نعبدُه إلٰهـــاً ســيِّداً

★ ★ ★

جمَّعْتَ شمْل البيتِ يا رمضانُ
مبتهجا بلقياك الحبيبة
تجمعُ الأحبابَ والأصحابَ
مثل الورد خالطه النَّدى

★ ★ ★

طعمُ الحياةِ وانت فيها
لا نعادِلُه بشـيء
فالحلاوةُ كلُها جاءتـهُ منـكَ
وانتَ فيها ، تصنـع الأحـلام
تمشـي باسطاً كفَّ النَّدى

★ ★ ★

يُتْلى كتابُ الله فيك ،
فتشـرِقُ الدنيا بـه تصفو النفوسُ بـــه
من الأحقـــادِ تمتلىءُ القلوبُ مودةً
وطهـــارةً تحْيَا بها طولَ المَدى

★ ★ ★

اللهُ أكبرُ كلما اقبلْتَ يا رمضان
تسبقُنا الى الاحســان تطبعُنا على الاخــلاصِ
تدفعنا الى الايمــانِ ترفعنا الى التوحيــدِ
في أعلى مراتِبـــهِ لنسـعَدَ باللقـاءِ ونَسْـعدا

★ ★ ★

مني اليك تحيـــةً في كل عـــام
سوف أبعثُهـــا تســيرُ اليكَ باسِـمةً
على صفحاتِ «قافـلة» ستبْقى في فمِ الدّنيـا
نشـيداً باســماً تبقى لتنشُرَ زادَها المتجدِّدا

★ ★ ★

تبقى لتنشُـرَ زادَهـا
نـــوراً
يشـرِّق في الحيـاةِ يسيرُ في كلِّ اتجــاهٍ
يمـلأُ الألبـــابَ عِلمــاً ، حكمـــةً
بهما يضيءُ الكـــونُ
تبتســمُ الحيـــاةُ
وتفرحُ الدنيـــا
فمنها النورُ يُشْرِقُ خالِـــدا

المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز

سليمان نصرالله / هيئة التحرير



جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز يفتتح المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز .



عُقِدَ المؤتمر العالمي عن تاريخ وحياة الملك عبد العزيز في مدينة الرياض، تكريمًا وإحياءً لذكرى شخصيته التاريخية الفذة. فقد استطاع عبد العزيز، رحمه الله، بما أوتي من إيمان، وصبر، وجلد، وحكمة، وحنكة، أن يجمع الأضداد ويوحد البلاد، في ظل ظروف محلية ودولية عصيبة، جابهها بعقيدة الإسلام الراسخة والعزيمة القوية الثابتة، وخرج منها منتصرًا، وبنى صرحًا شامخًا يسوده الأمن والاستقرار والعدل، راح ينطلق في دروب التطور والتقدم على هدي من القرآن المجيد والسنة النبوية الطاهرة.











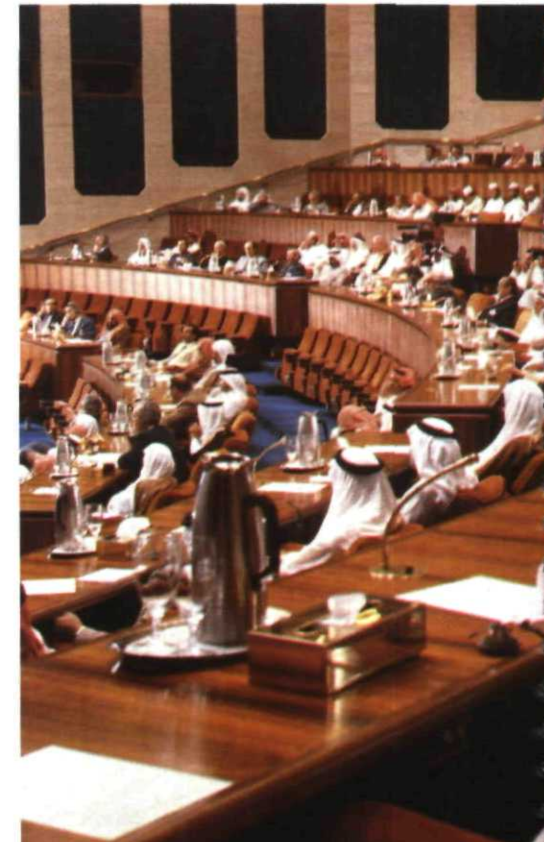


تحت رعاية جلالة الملك المفدى فهد ابن عبدالعزيز، جرى يوم التاسع عشر من شهر ربيع الأول ١٤٠٦ هـ، افتتاح المؤتمر العالمي عن تاريخ وحياة الملك عبدالعزيز، طيّب الله ثراه. وقد قامت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض بتنظيم هذا المؤتمر والاعداد له، بالتعاون مع الجامعات الأخرى والمؤسسات الأكاديمية في المملكة العربية السعودية، وهيأت الجامعة كل السبل التي توفر لهذا الحدث الهام ما يليق بمستواه التاريخي. فقد كان عبدالعزيز، رحمه الله، صورة مشرّفة للانسان العربي المسلم في كفاحه، وحكمه، وادارته، وفكره، ومنجزاته.

الفكرة والهدف

انبثقت فكرة إقامة هذا المؤتمر عن اتحاد المؤرخين العرب، الذي يتخذ من بغداد مقرا دائما له، وتبنت الفكرة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، وذلك قبل نحو ثلاث سنوات من اقامة المؤتمر، حيث راحت الجامعة منذ ذلك الحين تعد له، وتجري اتصالات مكثفة مع نخبة من العلماء والمفكرين من داخل المملكة وخارجها للمشاركة في أعمال المؤتمر وبحوثه بالتنسيق مع جامعات المملكة العربية السعودية والهيئات الأكاديمية. وكان تجاوب هؤلاء العلماء مع فكرة اقامة المؤتمر إيجابيا، فقدموا بحوثهم التي ألقت أضواء جديدة على تاريخ الملك عبدالعزيز والأحوال التي مرت بها المملكة العربية السعودية إبان حكمه. وقد بلغ عدد المشاركين في المؤتمر نحو ١٧٠ عالماً ومفكراً وباحثاً من ثمان وعشرين دولة، بالاضافة الى المملكة العربية السعودية. وكان بين المشاركين خمسة عشر مستشرقا، قدم بعضهم بحوثا قيّمة عن جوانب مختلفة من تاريخ الملك عبدالعزيز، رحمه الله. فكان هذا المؤتمر الذي التقى فيه هذا الحشد من العلماء والمفكرين أشبه بمهرجان فكري رائع. وقد اعرب معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ورئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر، عن اعتزازه بهذا المؤتمر قائلا: «أغتنم هذه الفرصة الطيبة لأعبّر عن شكر الجامعة الجزيل للعلماء والمفكرين الذين استجابوا للدعوة بالمشاركة ببحوثهم او بالمشاركة في مناقشات البحوث بدافع من رغبتهم وحرصهم على الاسهام في إثراء البحث العلمي ونشر المعرفة، وتقديرا منهم للعمل الريادي الذي قام به الملك عبدالعزيز، رحمه الله، في سبيل دينه وأمته ووطنه والعالم أجمع. وان المتمعن في هذه النخبة الطيبة من العلماء والمفكرين الذين جاءوا من مختلف أقطار الأرض للمشاركة في أعمال هذا المؤتمر ليدرك مدى قوة رابطة العلم والمعرفة التي تربط بين بني الانسان مهما تباعدت بلدانهم او اختلفت جنسياتهم او تعددت لغاتهم، وهي الرابطة التي التقى هذا الجمع في ظلها».

ولعل من بين الأهداف التي أقيم هذا المؤتمر العالمي من أجلها هو إبراز ما تميزت به المملكة العربية السعودية من معالجة لقضايا المسلمين، والقضايا التي لم تسلط عليها الأضواء من قبل، وخاصة تلك التي تتعلق بعلاقات المملكة في ذلك الوقت مع غيرها من

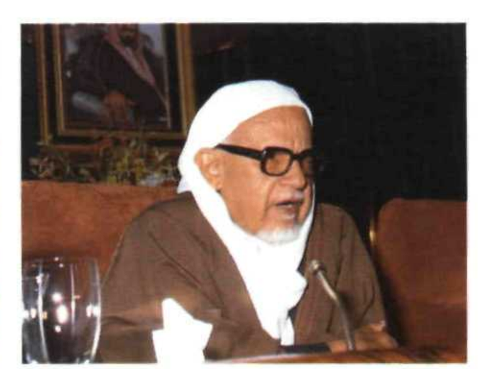




الدّول ، وما قام به الملك عبدالعزيز من جهود في سبيل القضايا الاسلامية والعربية ، وعلى وجه الخصوص القضية الفلسطينية ، وتعريف الأجيال الصاعدة بآثاره ومآثره ، واطلاعها على تاريخه الحافل ومنهج حكمه وادارته وطريقة تعامله داخليا وخارجيا .

خطاب مَلَكِي جَامِع

وجّـــه جـــلالة الملـــك فهـــد بن عبدالعزيز كلمة ضافية في حفل افتتاح المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز ، رحمه الله ، نقتطف منها ما يلي :







أيُّهَا الاخوة العلماء والباحثـون .. ايها الاخوة الحاضرون في هذا المؤتمر التاريخي العالمي ، أحييكم جميعا تحية الاسلام ، وأشكر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية التي نظمت هذا المؤتمر بالتعاون مع اتحاد المؤرخين العرب والجامعات السعودية . كما أشكر كل القائمين على تنظيم هذا المؤتمر على ما أتاحوه لي من فرصة أخوية كريمة أتحدث فيها باقتضاب عن تاريخ موحِّد هذه البلاد ومؤسس نهضتها وباني دعائمها الملك عبدالعزيز رحمه الله وأسبغ عليه الرضوان .

انني لا أتحدّث إليكم من منطلق عاطفي تؤثر فيه علاقة الأبوة او يوحي به اي نوع من انواع الانفعال العابر ، بل أتحدث في مؤتمر علمي ومن منطلق تاريخي مجرد يتأثر فقط بالوقائع كما وقعت وبالأفعال كما حدثت وبالحقائق المجردة كما شوهدت ، وهذا هو الأساس الذي يجب ان يبنى عليه تدوين التاريخ ، لانه امانة تنتقل من عصر الى عصر ومن جيل الى جيل ومن انسان الى آخر وناهيك بحِمْل هذه الأمانة وثقلها . اننا حين نبحث في تاريخ الملك عبدالعزيز ينبغي ان نذكر بأمانة العالم وصدق المؤرخ تصميمه ، رحمه الله ، في صباه على جمع الشمل ووحدة الكلمة لهذا البلد العزيز الذي كان يتلهف للوحدة ويعيشها بوجدانه وآماله وأحاسيسه بعد ان رأى ، في وقت من الأوقات ، أن شمله كان يتفرق وصفوفه تتمزق ، وأمنه يتزعزع وحياته قد حفّت بالخوف والاضطراب فتأكد له ان الوحدة قد أصبحت ضرورة قصوى لوجوده ، كما تأكد له أن الأمن والاستقرار أساس في استمراره وعزته .

إنّ الملك عبدالعزيز حين نفذ واجبه في إعادة وحدة هذه البـــــلاد وإعادة مجدها المبني على دعائم الاسلام الخالد ، لم يكن يبتغي في ذلك سلطة أو سيادة دنيويـــة عارضة أو الحصول على جاه أو أي عرض من أعراض الدنيا ، بل كان يستشعر في مسعاه واجباً دينيا وخلقيا كان يمثله سلوكه الشخصي منذ نعومة أظفاره في طهارته وورعه وتقاه ، فقد كان رحمه الله قوي الصلة بالله عز وجل لا ينام من الليل إلا قليله وكان يقضي أكثره راكعـاً ساجـداً يطلب العون والنصر من الله . لقـد عرّف نفسه رحمه الله في إحدى خطبه الجامعة



قاعة الملك فيصل تغص بالباحثين والمفكرين والمؤرخين من المملكة وخارجها لحضور المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز ، ووجوه من المؤتمر .



قائلا .. (انني أعمل جهد الطاقة في سبيل إعــلاء كلمة الدين وإحلال عقيدة السلف الصالح ، لذلك فانني مبشر ادعو لدين الاسلام ونشره) . ومن هذا المنطلق يشهد التاريخ ان تطبيق الشريعة الاسلامية كان مبدأ اساسياً في حياته ، رحمه الله ، وكانت كلمة « شرع الله » تهزه عندما يطلبها خصم من خصم او يقولها شاكٍ في شكواه او يطرحها أي شخص للاحتكام في أمر من الأمور. إن تاريخ الملك عبدالعزيز، رحمه الله، لم يكن تاريخ توحيد وتأسيس كيان كبير فحسب ، بل كان تاريخ عطاء وبناء تنمية على أسس علمية ومنهجية فنية تؤمن بالعلم ، كما تؤمن بالايمان ، وتنطلق من الاهتمام بالانسان والعناية به باعتباره العمود الفقري للتنمية والعطاء ، فرغم ضآلة الدخل وضعف الاقتصاد العالمي وآثاره وانعكاساته على المملكة في ذلك الوقت ، الا ان التعليم كان في أول اهتمامات الملك عبدالعزيز . ومن منطلق التعليم الى منطلق الزراعة وتصور الامن الغذائي وتعويد الانسان على انتاج حاجاته بجهده وعطائه . كان الملك عبدالعزيز ، رحمه الله ، يدرك هذه الحقائق من منظور بعيد يعمد الى تحويل الفرد تدريجيا الى الاهتمام بالزراعة كملجأ للأمن الغذائي في أوقات الأزمات ، فأصر على إعفاء الآلات الزراعية المستوردة من أي رسوم أو ضرائب وأمر باقراض المزارعين وانشاء القرى الزراعية لتوطين البادية . وفي مجال الاهتمام بالانسان ورعايته تبدو صورة الملك عبدالعزيز مشرقة في تاريخ العلاقات المحلية فلم تكن هناك علاقــة بين حاكم ومحكوم ، أو رئيس ومرؤوس ، أو بين متبوع وتابع ، بل كانت علاقة أبوة وأخوة ومحبة تجسدت في صــــور اللقاء الشخصي المباشر بدون وسائط او حجب كما تجسدت في صور الاتصال الدائم في مختلف الامكنة والأوقات في بساطة كانت تستمد طابعها وأسلوبها من منهج أسلافنا المسلمين الصالحين . ومن هذا المنطلق كان يعامل ، رحمه الله ، كل فرد في هذه البلاد معاملة فريدة من نوعها في التاريخ الحديث بغض النظر عن مركز هذا الفرد ومكانته حتى الذين خالفوه وعارضوه كان يعطف عليهم ويسأل عن أحوالهم ويتفقد أسرهم ويتجاوز عن أخطائهم منتهجا في ذلك منهج الأبرار الصالحين في العفو عند المقدرة ، والتعامل بالاحسان ، والتجاوز عن الاساءة ونبــذ الضغينة وأسلوب الانتقام وترك المخــالف والمعارض يدرك أخطاءه بنفسه . اما تاريخ الملك عبدالعزيز في مجال السياسة الخارجية بأبعادها الاسلامية والعربية والدولية ، فان التاريخ سيظل شاهدا أمينا على انه ، رحمه الله ، قد انتهج سياسة إسلامية حكيمة ذات أبعاد عميقة لا سيما في وقت كان المجتمع الدولي مسرحا للاضطراب والتغيرات المتلاحقة بعد أن انهكته حربان عالميتان وأثرت في سلوكه وتوجهاته . لقد كانت السياسة بالنسبة له ، رحمه الله ، ثوابت تقوم على المبادىء والأخلاق وتلتزم التزاما مطلقا بالمنهاج الاسلامي إطارا وسلوكا .

أيها الاخــوة العلمـــاء والباحثــون والحاضرون جميعاً ، إن ما ذكرته عن الملك عبدالعزيز ، رحمه الله ، قليل من كثير بل هو بمقاييس التاريخ حرف واحد من سجل طويل مفعم بالأخلاق والمبادىء والثوابت ، واني واثق بأنكم أمناء على التاريخ وسوف تسجلون بكل امانة لأجيالنا العربية والاسلامية تاريخ اسلافهم وقادتهم الصالحين ليكونوا قدوة لهم في حاضر نشهده ، وفي مستقبل مشرق نتصوره ، مليء باذن الله بالانتصـــارات ، والخلود لعقيدتنا وأمتنا المجيدة » .

وتحدث في حفل افتتاح المؤتمر كل من معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ ، وزير التعليم العالي ، ومعالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، مدير جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية ورئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر ، وسعادة الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار ، أمين عام اتحاد المؤرخين العرب ، وسعادة الدكتور محمد بن عرفة ، أمين عام المؤتمر . وقد اشار معالي وزير التعليم العالي ، الاستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ ، في كلمته الى الانجازات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تحققت على يد الملك عبدالعزيز بعزيمة وإرادة قوية ، وذكر معاليه أن أهمية هذا المؤتمر تتضح في شخصية الملك عبدالعزيز التي تحققت على يدها الوحدة الكبرى المتمثلة في المملكة العربية السعودية . وأكد معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي في كلمته على أهمية انعقاد المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز الذي قام بأعمال إنجازية حضارية عظيمة . وأشار الى ان الاجماع التاريخي منعقد على ان الملك عبدالعزيز ظهر في حقبة تاريخية مليئة بالمشاق والانكسارات ، وانه رحمه الله ، كان ذا شخصية متعددة الجوانب ، متنوعة المزايا .

كما أعرب الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار في كلمته عن اعتزاز اتحاد المؤرخين

٢



٣

ستظل معينا ينهل منه الدارسون والمفكرون والكتاب امدا طويلا .

وقد أمر جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز في حفل الافتتاح بانشاء « مؤسسة الملك عبدالعزيز الاسلامية » حيث قال جلالته بهذه المناسبة السعيدة : « كلنا نعلم ان هناك جهازا يطلق عليه اسم « دارة الملك عبدالعزيز » فقد تقرر ان تنشأ مؤسسة يطلق عليها اسم « مؤسسة الملك عبدالعزيز الاسلامية » تجسيدا لما هو موجود الآن ، وأرجو التوفيق والنجاح ان شاء الله » .

وفي ختام الحفل قام صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبدالعزيز ، أمير منطقة الرياض ، بافتتاح معرض الكتاب الذي نظمته جامعة الملك سعود في هذه المناسبة . وقد اشتمل المعرض على اكثر من ٥٠٠ مصنف منها ١٣١ كتابا باللغة العربية و ١٦٤ مؤلفا بلغات اخرى . واحتوى المعرض ايضا على ٢١ رسالة جامعية و ٥ مخطوطات و ١٣ عددا تذكاريا من المجلات العربية وأكثر من ١٠٠ مقال باللغة العربية و ٤٠ مقالا بلغات أخرى ، بالاضافة الى الفهرس الذي يشتمل على البيانات الكاملة لجميع المصنفات . وتم تجميع المادة العلمية من مكتبة جامعة الملك سعود وجامعات المملكة العربية السعودية الأخرى الى جانب المكتبات الوطنية والمكتبات الخاصة . وأسهمت جامعة الملك سعود في اعداد فهرس بيبلوغرافي عن تاريخ الملك عبدالعزيز ضم نحو ثمانمائة عنوان .

وقد نظمت الأمانة العامة للمؤتمر برنامجا حافلا تضمن فعاليات ثقافية ونشاطات اجتماعية اشتملت على تنظيم ندوات ومحاضرات متنوعة ، منها محاضرة عن «الحركة الأدبية في عهد الملك عبدالعزيز » للاستاذ عبدالله بن محمد الشهيل في جمعية الثقافة والفنون بالمربع ، تناول فيها المحاضر سمات الأدب واستعرض آثار الرواد الذين برزوا في هذا العصر ، كما تحدث عن تغلب النثر على الشعر لأسباب عديدة ، وندوة عن «أسلوب الملك عبدالعزيز في الادارة» اشترك فيها الشيخ حمد الجاسر ، ومعالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر . وتحدث فيها الجاسر عن البدايات التي مهدت للتنظيم

العرب بأن كان له شرف المبادرة في تقديم مقترح هذا المؤتمر تقديرا منه لجليل الأعمال التي قام بها الملك عبدالعزيز والجهود العظيمة التي بذلها من أجل تأسيس الكيان العربي الاسلامي في جزيرة العرب وإرساء قواعده ونشر العلم وخدمة العقيدة والدعوة .

وأكد الأمين العام للمؤتمر الدكتور محمد بن عرفة ان هذا المؤتمر هو بمثابة إسهام يضاف الى الجهود السابقة المتمثلة فيما كتب وسجل عن الملك عبدالعزيز وإنجازاته التي

١ ــ صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبدالعزيز ، امير منطقة الرياض ، يقص الشريط إيذانا بافتتاح معرض الكتاب الذي نظمته جامعة الملك سعود بمناسبة انعقاد المؤتمر .

٢ ــ لوحات فنية رائعة تعكس جانبا من حياة الملك عبدالعزيز ، طيب الله ثراه .

٣ ــ بعض المشتركين في المؤتمر يشاهدون جناح الملك عبدالعزيز في « دارة الملك عبدالعزيز » ، التي امر جلالة الملك فهد بتحويلها الى « مؤسسة الملك عبدالعزيز الاسلامية » .





الاداري في عهد الملك عبدالعزيز، وتطرق الى نشأة التعليم، والمشكلات التي واجهت الملك عبدالعزيز في إدخاله بعض الأساليب الحضارية النافعة المعاصرة، وكيف انشأ الملك عبدالعزيز نظام التعليم. أما الدكتور عبدالعزيز الخويطر فقد تحدث عن «الادارة قبل عهد الملك عبدالعزيز» والتي كانت تتأثر ببعض القيم الاسلامية والأعراف القبلية. وقال إن أبرز خصائص إدارة الملك عبدالعزيز مراقبته لكل صغيرة، والحزم والحذر واليقظة مع حديثي الولاء له والثقة مع المراقبة الواعية والاكتفاء بالتوجيه للموالين له. كما ألقى الدكتور عبدالله ابن صالح العثيمين، الاستاذ بجامعة الملك سعود، محاضرة بعنوان «عوامل نجاح الملك عبدالعزيز في توحيد البلاد» استعرض فيها أهم العوامل التي ساعدت الملك عبدالعزيز في توحيد هذه البلاد، كما تطرق الى بعض صفاته الشخصية ومؤهلاته القيادية ومنها، تدينه وشجاعته وكرمه وقوة ارادته بالاضافة الى حرصه على المشورة وسرية الحركة ووعيه بالتاريخ، زيادة على عمق معرفته بأحوال قومه، مما أكسبه القدرة على التعامل معهم.

أضواء على بحوث المؤتمر

ناقش المؤتمر ما يربو على خمسين بحثا تم اختيارها من بين عدد كبير من البحوث والدراسات التي قدمت الى الامانة العامة للمؤتمر. وتناولت البحوث أربعة موضوعات رئيسية يندرج تحت كل منها عدد من الموضوعات الفرعية المرتبطة بها. واختص الموضوع الأول بشخصية الملك عبدالعزيز والعوامل التي أثرت عليها، وكذلك صفاته القيادية. وتناول الموضوع الثاني ظروف عصر الملك عبدالعزيز السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي كانت سائدة قبل قيام المملكة كالوضع السياسي في الجزيرة العربية والحياة الاجتماعية في المناطق التي تكونت منها المملكة، وكذلك الظروف السياسية أثناء تكوين المملكة كالعوامل التي ساعدته على توحيد المملكة والجهات التي تصدت له في مراحل التكوين ومظاهر التغير الاجتماعي والاقتصادي، بالاضافة الى ظروف عصر الملك عبدالعزيز بعد توحيد المملكة. أما الموضوع الثالث فتناول الانجازات التي حققها الملك عبدالعزيز ووسائل تحقيق هذه الانجازات في كافة المجالات كالقضاء، والتعليم، وإعمار الحرمين الشريفين، والعناية بشؤون الحج، ونشر الثقافة، وإحياء تراث السلف الصالح بالتحقيق والطبع والتوزيع، ووضع أسس النهضة الاعلامية وقواعد الاتصالات الحديثة، ورسم السياسة الامنية، وتطوير الادارة وتنظيمها، والتنظيم العسكري، وتوطين البدو، وبسط العمران، وإرساء قواعد السياسة المالية والنهضة الزراعية. كما تناول هذا الموضوع علاقات المملكة وسياستها الخارجية على الصعيد العربي والاسلامي والدولي. أما الموضوع الرابع فقد تناول وثائق المملكة في عهد الملك عبدالعزيز ودراستها وتحليلها.

فحوى سياسة الملك عبدالعزيز لحفظ الأمن في المملكة العربية السعودية تحدث الدكتور حسن ساعاتي، استاذ الاجتماع في جامعة عين شمس قائلا: لقد كانت حياة الملك عبدالعزيز آل سعود كفاحا طويلا وجهادا مستمرا، في سبيل استعادة حكم أهله في الرياض، ولما تم له ذلك، وثبت

١ ــ بعض المتحدثين في المؤتمر.

٢ ــ حضر المؤتمر حشد من الأدباء، والعلماء، والمفكرين، والباحثين ورجال الصحافة والاعلام.

٣ ــ معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، يتحدث مع الاستاذ سليمان نصرالله عن الأهداف المرجوة من عقد المؤتمر.

٤ ــ الطراز المعماري العريق يتجلى في أبرز صوره في قصر المربع بالرياض.

٣





٤

حكمه في اقليم الرياض، وطد العزم على الانطلاق في ربوع شبه الجزيرة من كل جهاتها، لنشر كلمة التوحيد وهداية العرب، في البادية والحاضرة، وجمع شملهم في دولة كبرى موحدة.

وحول أثر قوة إرادة الملك عبدالعزيز وثقته بنفسه في تكوين المملكة العربية السعودية، عالج الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، وكيل كلية الدراسات الانسانية بجامعة الازهر، روافد تكوين قوة ارادة الملك عبدالعزيز وثقته بنفسه، وأرجعها الى عدد من العناصر منها تنشئته والبيئة التي نشأ فيها وتدينه الاصيل الى غير ذلك من العناصر المؤثرة، إصلاح ذلك البناء من الداخل، الاصلاح بمعناه الواسع، الاصلاح الاداري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، حتى أثبت للعالم ان القائد الناجح هو الذي يملك قوة الارادة والثقة بالنفس، كما يتمكن من التغلب على الصعاب التي تواجهه.

وحول رعاية الحجيج في عهد الملك عبدالعزيز تناول الاستاذ عبدالوهاب عبدالواسع، وزير الحج والأوقاف، النواحي الادارية في الموضوع قائلا: هدفت حكومة المملكة وعلى رأسها المغفور له الملك عبدالعزيز الى العناية بأمور الوافدين الى بيت الله الحرام وتوفير الراحة والأمن لهم، فكان ان انشأ أول والضلال، الى جانب انتشار التعليم واتساع ميدان الثقافة.

وحول توطين البدو في عهد الملك عبدالعزيز، عالج الاستاذ الدكتور حسين عبدالقادر صالح، الاستاذ بقسم الجغرافيا بالجامعة الاردنية، هذا الموضوع بمنهجية علمية، مشيرا الى ان اهمية الموضوع ترجع الى اعتبارات عديدة تتعلق برغبة الملك عبدالعزيز في إقامة مجتمع عصري متطوّر عن طريق إحداث نقلةٍ نوعيةٍ في سلوك المجتمع، وتطبيق اصلاح اجتماعي رائد، وتنفيذ اول عملية تنمية اجتماعية اقتصادية في تاريخ المملكة العربية السعودية.





فكان الملك عبدالعزيز يتصرف في المواقف التي كانت تواجهه بعزيمة قوية، ونفس واثقة من قدرتها في التغلب على الصعاب التي تواجهها، وكان يتصرف بحكمة وحصافة، فاذا كان الموقف يحتاج الى التروي والاستشارة فعل ذلك، فهو يدرك ان الرأي قبل شجاعة الشجعان، واذا كان الموقف يحتاج الى الحزم والثبات والشجاعة، فعل ذلك، وحث رجاله على الصمود الى النهاية، وبذلك شق طريقه وسط الصعاب التي واجهته، وحتى استطاع ان يكوِّن ذلك البناء العربي الشامخ «المملكة العربية السعودية»، ثم اتجه بعد ذلك الى مديرية عامة للحج، تتولى تقديم الخدمات الى ضيوف الرحمن. وعن نظام القضاء والحسبة بتهامة وعسير في عهد الملك عبدالعزيز تحدث الدكتور عبدالله بن محمد بن حسين ابو داهش، أمين عام وحدة البحوث والترجمة بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب، قائلا: ان جهود الملك عبدالعزيز في ميدان القضاء والحسبة في منطقة تهامة وعسير دفعت كثيرا من البدع والمعتقدات الباطلة، حيث انتشر الدعاة في عهده في قبائل هذه المنطقة المتفرقة يرشدون الناس ويعلمونهم أمور دينهم ويبينون لهم مواطن البدع

وتحدث سمو الامير الدكتور تركي بن محمد بن سعود الكبير عن علاقة بريطانيا بالملك عبدالعزيز فقال: اتصل الملك عبدالعزيز ببريطانيا في عام ١٩٠٣م لمفاوضتها في ضم الاحساء الى ملكه بناء على دورها في المنطقة، ولم تستجب، لاعترافها بان الاحساء تابعة للدولة العثمانية، بالاضافة الى عدم رغبة البريطانيين في وجود قائد قوي في منطقة الخليج العربي. وأعاد الملك عبدالعزيز الاتصال بهم في عام ١٩٠٦م للغرض نفسه ولكن بدون فائدة. وبعد ان تمكن الملك عبدالعزيز من ضم الاحساء الى ملكه غيرت

بريطانيا مواقفها تجاهه وذلك في عام ١٩١١م.

التوصيات الختامية للمؤتمر

أوصى المؤتمر بانشاء معهد يسمى معهد الملك عبدالعزيز للعلوم السياسية يكون قوامه العلمي تكريس تجربة الملك عبدالعزيز السياسية في الفكر والتطبيق خاصة، وتدريب الفكر السياسي والاسلامي عامة. كما اوصى المؤتمر باصدار موسوعة متخصصة في تاريخ الملك عبدالعزيز يكون على رأس أعمالها إخراج هذا التاريخ في مجلدات متسلسلة، وبانشاء مكتبة كبرى تضم كل ما كتب وما سيكتب عن تاريخ الملك عبدالعزيز والمملكة. ودعا أماكن متعددة من العالم تكون امتدادا للمؤتمر واستمراراً لمقتضياته ودواعيه ونتائجه وذلك بالتعاون مع اتحاد المؤرخين العرب، وإصدار سجل ينظم ملخصات جيدة لبحوث المؤتمر يطلع عليه من لا يتمكن من قراءة البحوث المطولة، بالاضافة الى إصدار كتيبات موضوعية مستقاة من بحوث المؤتمر تترجم الى اللغات العالمية. كما أوصى المؤتمر بتخصيص كرسي في أمهات الجامعات في العالم يسمى كرسي الملك عبدالعزيز للدراسات التاريخية والحضارية يدرِّس تاريخ الملك عبد العزيز ونهضته وشخصيته خاصة ويدرِّس التاريخ الاسلامي والعلوم الاسلامية عامة. ووافق المؤتمر على العلمية والثقافية والأدبية في أقسام الدراسات العليا على تشجيع الطلاب على تحضير رسائلهم العلمية في الجوانب المختلفة من تاريخ الملك عبدالعزيز ونهضته، وتدريس كل جانب من جوانب تاريخ الملك عبدالعزيز ونهضته في إطار التخصص المناسب، ودراسة منهج الملك عبدالعزيز في إقامة وحدة عربية اسلامية، وتقديم اسلوب الملك عبدالعزيز في التكامل الامني عن طريق العمران، بالاضافة الى قيام المؤرخين في العالم العربي والاسلامي بمسؤولياتهم نحو تاريخ زعيم عربي بارز ومصلح اسلامي، وذلك بالاتصال بالمؤسسات العلمية والفكرية والثقافية في بلدانهم، ابتغاء تعريفها



المؤتمر الى التنويه الدائم بالنموذج الفريد الذي بناه الملك عبدالعزيز وتقديمه مثلا يحتذى في الأخذ الحكيم بالاسلام، والتنويه الوفي باصلاحات الملك عبدالعزيز في الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة. كما دعا المؤتمر الى مدّ آفاق « مؤسسة الملك عبدالعزيز الاسلامية » الى مجالات تعليمية وعلمية ودعوية وثقافية وخيرية واجتماعية واغاثية وحضارية، وذلك لكي ينتفع بهذه المؤسسة مواطنو المملكة من جهة، والعرب والمسلمون والناس جميعا من جهة اخرى. كما أوصى المؤتمر باقامة ندوات وحلقات علمية في رصد جائزة دولية تسمى « جائزة الملك عبدالعزيز الدولية » تمنح لكل من بذل جهدا شريفا ونافعا للأمة في مجالات مختلفة، بالاضافة الى انتاج فيلم يحكي حياة الملك عبدالعزيز ويروي كفاحه وبطولاته.

وأوصى المؤتمر باستمرار الصلة بالمشاركين في المؤتمر وتطويرها بما يحقق اكبر قدر من التعاون العلمي والفكري وذلك عن طريق تزويدهم بكل جديد عن تاريخ الملك عبدالعزيز، وتلقي كل جديد في الموضوع منهم وعن طريق دعوتهم الى المشاركة في الحلقات والندوات العلمية. وأوصى المؤتمر الهيئات

١ ــ معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي يتحدث الى بعض المشاركين في المؤتمر.

٢ ــ تستخدم « دارة الملك عبدالعزيز » أحدث الوسائل للاطلاع على المؤلفات والمخطوطات وغيرها.

٣ ــ العلّامة حمد الجاسر يتحدث الى الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار، امين عام اتحاد المؤرخين العرب، ومعالي الدكتور رضا عبيد، مدير جامعة الملك عبدالعزيز.

بتاريخ الملك عبدالعزيز ونهضته ، وقيام الادباء بمسؤوليتهم التخصصية والوظيفية تجاه تاريخ الملك عبدالعزيز ، والتي تتمثل في توجيه القصة والاقصوصة والرواية والمقالة والشعر والنص الأدبي . ووافق المؤتمر على تأليف لجنة يرأسها الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مهمتها متابعة توصيات المؤتمر ونتائجه وآثاره بالتعريف والتعزيز والتذكير والانفاذ .

الملك عبدالعزيز في سطور

ولد الملك عبدالعزيز في قصر الامارة بالرياض ، عاصمة المملكة العربية السعودية ، واختلفت الروايات حول تاريخ ولادته ، ولعل أرجحها انه ولد عام ١٢٩٣ هـ في حجر والده الامام عبدالرحمن الفيصل آل سعود ، وفي كنف امه السيدة « سارة » ذات الأصل العريق والخلق الحسن ، وقد شب عبدالعزيز وترعرع في ظل سلسلة من الشدائد والخطوب تكالبت على أسرته ، فكان لها أثرها البالغ على سلوكه وتربيته ، إذ جعلت منه رجلا صلبا عصاميا يعرف كيف يذلل العقبات ، واستطاع فيما بعد ان يعيد امجاد أسرته ، ويجمع الشتات ، ويبني دولة قوية دعامتها الشريعة الاسلامية الغراء . ووافاه الأجل المحتوم يوم الاثنين الثاني من ربيع الأول ١٣٧٣ هـ الموافق ٦ نوفمبر ١٩٥٣ م . وفيما يلي ملخص مستقى من مراجع تاريخية عديدة لخطوات الملك عبدالعزيز ، في سبيل توحيد البلاد وتأسيس المملكة :

★ في عام ١٣١٩ هـ (١٩٠٢م) استرد عبدالعزيز الرياض ، وبقيت وحدها الدولة لبضعة أشهر ، ثم انضم اليها الخرج ، والافلاج ، والحوطة ، والحريق ، والدواسر ، ولم ينته عام ١٣١٩ هـ حتى استولى عبد العزيز على معظم بلاد الوشم وسدير والمحمل .

★ في الأعوام من ١٣٢٢ هـ الى ١٣٢٦ هـ أتم عبدالعزيز الاستيلاء على بلاد القصيم .

★ في عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣م) حرر عبدالعزيز الاحساء من الاتراك وضمها الى نجد . وهكذا اتسعت رقعة البلاد التي يحكمها عبدالعزيز ، وزادت مواردها وتجاوزت ما كان يملكه والده الامام عبدالرحمن قبل استيلاء ابن الرشيد على بلاده .

★ كان من ثمرات هذه الانتصارات التي حققها عبدالعزيز ان تنادى علماء نجد ورؤساء القبائل الى مؤتمر عقد في الرياض عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١م) نودي فيه بالامير عبدالعزيز « سلطانا » على نجد .

★ في عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١م) تم ضم جبل شمر الذي كان يحكمه ابن الرشيد .

★ في عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣م) تم إخضاع عسير .

★ في عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥م) تم ضم الحجاز .

★ وفي يوم الجمعة ٢٥ جمادى الآخرة عام ١٣٤٤ هـ (٨ يناير ١٩٢٦م) بايع أهل الحجاز عبدالعزيز بالملك ، وأصبح لقبه « ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها » .

★ وفي ٢٥ رجب عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦م) نادى أهل نجد بعبد العزيز ملكا على نجد وملحقاتها ، فأصبح ملكا على الجميع .

★ وفي عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠م) انضمت تهامة عسير الى ملك عبدالعزيز .

★ وفي ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٥١ هـ (٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م) أصدر الملك عبدالعزيز أمراً ملكياً بتوحيد البلاد في دولة واحدة تسمى « المملكة العربية السعودية » ، وكان ذلك اليوم يوافق اليوم الأول من الميزان ، وهو اليوم الوطني للمملكة .

من أقوال عبدالعزيز

★ إن خطتي التي سرت عليها ـ ولا أزال أسير عليها ـ هي : إقامة الشريعة السمحة كما انني أرى من واجبي ترقية جزيرة العرب ، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة مع الاعتصام بحبل الدين الاسلامي الحنيف .

★ المسلم لا يرقى الا بالدين ، والله لا يُعبَد بالبهرجة وانما يُعبَد بالحقائق .

★ ان الفرقة أول التدهور بل هي العدو الأكبر للنفوس والغاوية للبشر ، والاتحاد والتضامن اساس كل شيء .

★ دستوري ونظامي وشعاري دين محمد ﷺ فإما حياة سعيدة على ذلك وإما موتة سعيدة .

★ قوام الخلق في هذه الدنيا الصدق وكل حياة لا ترتكز على الصدق ليس لها قيمة قط .

★ إن المدنية الصحيحة هي التقدم والرقي ، وهذا لا يكون الا بالعلم والعمل .

★ انني خادم في هذه البلاد العربية لنصرة هذا الدين وخادم للرعية .

★ يجب ان تحرصوا على العمل ، والعمل لا يكون إلا بالتساند والتعاضد .

★ ليس عندي في اقامة حدود الله هوادة ولا اقبل فيها شفاعة □

تصوير : علي عبدالله خليفة



هذه هي بوابة قصر «المصمك» الذي اقتحمه الملك عبدالعزيز ورجاله لدى فتح الرياض عام ١٣١٩ هـ .

أطباء بني زهر الأندلسيون (٣)

الطبيب الأندلسي عبدالملك بن زهر الايادي المعروف بـ "الإبن"

بقلم: فاضل السباعي / دمشق

تناولنا في الحلقتين السابقتين، من أطباء أسرة بني زهر الاندلسية، كلا من الطبيب «عبدالملك ابن محمد» وابنه الطبيب «زهر».. وفي هذه الحلقة، نعرِّف بالطبيب «عبدالملك بن زهر» الذي ذكر في المصادر التاريخية بـ «الابن».*

والواقع ان الأثر، الذي أحدثه طبيبنا «ابو مروان عبدالملك بن زهر» في الطب، كان أعظم مما أحدثه سلفاه ــ الأب والجد ــ أو أحفاده... ليس لأنه ألّف كتباً في الطب وحسب، فان أباه زهر قد ألّف عددا منها ايضا، وليس للمنزلة الاجتماعية والسياسية التي أحرزها في حياته، فان أباه وجده، وكذلك ابنه، قد حظوا بمثل ما حظي هو من الشهرة والصيت الحميد والمال والجاه، واستوزروا عند الامراء والملوك، ولكن اثر طبيبنا البليغ، تجلّى في علمه الذي بدا انه فاق ما عند أطباء أسرته من العلم. وقد أقامه، ابتداء على ما تلقاه على يدي أبيه من علوم الأولين، الا انه استطاع ان يضيف اليه كثيرا مما ألهمته اياه التجربة والممارسة الدائبة، ذلك انه انقطع الى الطب وحده دون غيره من العلوم، كما انه تجرد من قيود التقليد التي رسف فيها سواه من أطباء عصره، واعتمد دائما على الدراسة السريرية في تشخيص الأمراض ومداواتها.

يقول ابن زهر في كتابه الشهير: «التيسير في المداواة والتدبير»، في التجربة التي اتخذ منها «دليله الأرشد» كما يقول عنه المستعرب الفرنسي غبرييل كولان: إن «البرهان هو ميزان حق في الحجج، لكن كثيرا ما تدخل فيه أقوال إما جدلية اقناعية، واما سفسطة، واما اقوال تخيلية. وليس يفرق بين الاقوال الا البصير بعلم المنطق وخاصة ان كان بصيرا بعلم الطب، فحينئذ يمكنه ان يميز الحق من الباطل فيما يكون له بالطب معلق، وكثيرا (ما) يموه عليه من شأنه اللجاجة...»، وينتهي ابن زهر الى القول: «ان التجربة وحدها هي التي تثبت الحقائق وتذهب البواطل»!

ولطبيبنا أبي مروان مؤلفات في الطب ناهزت العشرة، لم يعثر منها، في المكتبات العامة العالمية حتى اليوم الا على ثلاثة هي، عدا «التيسير»: «كتاب الأغذية»، و «كتاب الاقتصاد في اصلاح الأنفس والأجساد» إلا أن «التيسير» كان أعظمها أثرا في معاصري ابن زهر وفي الأجيال اللاحقة، حتى ان هذا الكتاب ترجم، بعد تأليفه في منتصف القرن السادس الهجري، الى اللغة العبرية فاللاتينية.

ولقد بدا طبيبنا، في كتابه هذا، عالما ومعلما، وكان فيه مستوعبا علوم الأوائل والأواخر، بقدر ما كان مجربا ومجددا ومبتكرا. وكان تعليميا في

* ورد خطأ في عنوان الحلقة الثانية من مقالات اطباء بني زهر في عدد شعبان الماضي حيث جاء خطأ اسم الطبيب عبدالملك بن محمد والصواب هو ابو العلاء زهر بن عبدالملك الايادي المعروف بالأب.

أسلوبه، لطيف العبارة رشيقها حتى ليبلغ بها سويداء قلب القارىء... استمع اليه وهو يخاطب قارئه، الذي ما هو الا الطبيب المداوي: «وأما السبب في ان يخدر من بعض الناس الحس، ومن بعضهم الحركة، ومن بعضهم الأمران جميعا، فالى الآن لم أشرحه، فأعرني سمعك!».

وفي ثقته بعلمه وطبه، يقول:

«وما دامت طبقة المعاء الخارجة لم ينلها عقر، فلا تيأس من برء العليل. وأما إن نالها العقر وأفرط فيها، فلا يجب ان تتخيل برء احد ولو كنت من البصر في الطب حيثما لا ينتهي سواك اليه»!.

وفي دقته في الشرح، يقول، مفرقا بين ما رآه اعوجاجا في العقل، وهو «سوء النظر وتخيل ما لا يمكن»، وقد سماه «الاختلال»، وبين ما يراه اعياء في العقل، «يصيب في الكبرة المتناهية»، وقد سماه «الذهول»:

فالشيخ الطاعن في السن «يعقل ويفكر ويتذكر، على المجرى الطبيعي. غير ان كثيرا من الأشياء يذهل عنها ولا يفكر فيها ولا يتذكرها. فان ألهم، فعل أفعاله الطبيعية في ذلك كله. والذي يصيب، من هذه حاله في كبرته من ذلك، انما هو كالاعياء في العقل (...) وكما ان بدنه اذا اضطر فعل من أفعاله الطبيعية الارادية بحسب قوته ما يفي بما يحتاج اليه، فكذلك يكون عقل الشيخ في الكبرة: اذا الهم يفعل ما كان يفعله من التخيل والتفكر والتذكر فعلا مستقيما لا يقع عليه اسم اعوجاج!.

«وأما اعوجاج أفعال العقل، فانما ذلك لأسباب ممرضة، ولا يكون ذلك من الكبرة خصوصا. وأما الشيخ المتناهي تكون أفعاله العقلية على ما ينبغي، غير (أن) كثيرا من الأشياء لا يتخيلها ولا يفكر فيها ولا يتذكرها، ومهما كان منه فعل من هذه الافعال، لم يكن فعلا معوجا ولا على غير الصواب، مثل ما يعرض للمجانين، فبعضهم يتخيل الأمور معوجة، كالذي رمى بنفسه من الغرفة الى الأرض لما امره الصبيان بذلك»!

وفي عرضه لتجاربه الشخصية وما مر به من حوادث، يروي لنا ما وقع له يوم سافر قاصدا من دعاه لزيارته، المسمى «يحيى بن يمور»، ليعالجه من علة الفالج... يقول:

«سافرت في برد شديد، وأصابني مطر كثير جود، الى يوم زاد مع المطر ريح باردة شديدة نالتني من الجانب الشمال، وكانت قدمي اليسرى لا تسترها الغفارة (يعني المعطف)، وألحّت تلك الحال على النهار كله، فسقط القرق (يعني الحذاء) من قدمي، ولما أردت رده لم أقدر على رفع فخذي فرد، واثر ما رد سقط، فعلمت ان القدم قد خدرت مني مع الفخذ».

فلما وصل الى بيت صاحب له على الطريق، يدعى «ابن عمر»، لم تساعده قدمه على المشي، فأدخل عنده محمولا، وأخذ يدهن الفخذ بدهن كان قد جاء به لمعالجة المريض الذي يقصده من علة الفالج... «وتهمم ابن عمر بأمري، وغير الهواء بحرارة النيران... فلم يصبح الا وقد ارتفع ما كنت أجده من الخدر ارتفاعا كليا، وخرجت لوجهتي من الغد»!

ويقول، معللا ما أصاب عصب القدم من الخدر، بقوله: «ويحق ان يكون العصب اسرع قبولا من النخاع نفسه (...) وما دق كان اسهل قبولا للآفات، مع ان العناية بالنخاع أشد، ولذلك وضع سالكا في الفقارات صيانة له ومحافظة عليه لأنه أصل، فباختلاله تختل جميع الأعصاب مما تحته، وليس باختلال عصبة أو أعصاب يختل النخاع».

واذا كان عبدالملك بن زهر قد بدا لنا، في كتابه، عالما مستوعبا دقيقا واثقا، ومعلما يستطيع ان ينفذ بتعليمه الى سويداء القلب، فان من مقتضى ذلك ان يكون ثاقب النظر متقصيا، يبحث عن الأسباب الممرضة في الحالة المعروضة عليه على غير ما يبحث سواه من الأطباء!

يحدثنا ابن ابي أصيبعة، في كتابه «طبقات الأطباء»، ان عبدالملك كان، في وقت مروره الى دار امير المؤمنين في اشبيلية (يعني الخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن علي)، يجد، في طريقه عند «حمام ابي الخير»، مريضاً به سوء قنية، وقد كبر جوفه واصفر لونه، فكان أبدا يشكو اليه حاله ويسأله النظر في امره. وذات يوم لمح ابو مروان عند رأس المريض ابريقا عتيقا يشرب منه الماء، فقال: «اكسر هذا الابريق، فانه

سبب مرضك!»، فقال الرجل: «لا بالله يا سيدي، فان ما لي غيره!»، فأمر الطبيب أحد خدمه فكسره، «فظهر منه، لما كسر، ضفدع وقد كبر مما له فيه من الزمان! فقال ابن زهر: «خلصت يا هذا من المرض، انظر ما كنت تشرب!». وبرأ الرجل بعد ذلك».

والطبيب ابن زهر كان يتحلى بأخلاق الطبيب المثلى، شأنه في ذلك شأن كل طبيب في غابر الزمان وحاضره، آخذا بعهد الله الذي كان قد قطعه على نفسه بين يدي استاذه، أبيه، الطبيب «أبي العلاء زهر بن عبدالملك». وضمير الطبيب الحي عنده، أبى عليه ان يستجيب لطلب من كانت له عليه سلطة وهيمنة يوم كان يعاني اقسى ما مر به من ظروف حياة. كان المطلوب منه ان يقدم للطالب سما سريع المفعول لطيفا يقتل به من يروم قتله!

استهل ابن زهر قصته هذه، في «كتاب التيسير»، بقوله ان معرفة الطبيب «لما يضر» انما تكون «بالعرض، لا لطلب منه لذلك»! ولقد اعطى كل طبيب عهد الله وميثاقه لما قرأ كتب الطب وحفظ قسم أبقراط... فكيف يجوز ان يحنث؟

وتفصيل الأمر انه وقع لطبيبنا عبدالملك ان نكب، في عهد الامير المرابطي «علي بن يوسف بن تاشفين» سلطان المغرب والأندلس، هو وأبوه زهر... فكان ان غدا الابن عبدالملك «منفيا في البلاد، مع احد الثوار»، فجعل هذا يتودد الي غاية التودد، ويشير الي دون أن يصرح».

ولقد كانت لابن زهر «ضيعة» تقع في بلد هذا الثائر، المتسلط عليه، فقال في تودد يزين له: «يدك مطلقة عليها!». ويمضي ابو مروان يحدثنا: ان هذا «اللعين الملعون حسبني ممن يغره متاع!»، ثم يقول: وما لبث ان «اعلن لي، أهلكه الله ان كان حيا، بأنه يريد سما وَحِياً لطيفا!» (السم الوَحِيُّ: السريع المفعول).

فقال ابن زهر: «اني لا أعرف شيئا من ذلك، ولا (يعرفه) طبيب من حيث انه طبيب، الا ما أنجز له علمه بالعرض، وذلك يسير!».

فقال الثائر: «وكيف، وقد انكشفت اليك؟».

فخشي ابن زهر منه على نفسه فقال: «انكشفت لمن لا يكشف سرك»، ثم قال: «انظرني في هذا الامر حتى اطلبه في الكتب، ويتم غرضك ان قدر الله بتمامه!».

فقال الثائر: «ومتى؟».

قال: «نصف شهر اجلني في ذلك!»، قال طبيبنا هذا وقد عزم على النجاة بنفسه.

ثم ان الاسف يغلب الطبيب بقية نهاره... الى ان اضحى اليوم التالي، فيأتيه رسول منه. «فمشيت اليه، وأنا أظن إنما يريدني في ذلك، وقد مللت الحياة. فوجدت الرجل قد أخذه الله بقدرته ولطفه وهو لا يَفْهَم ولا يُفْهَم إلا بعسر. وشغله، والحمد لله، مرضه عني! فعالجته، ونصحته على ما شرطه ابقراط (أي انه أخلص في تطبيبه له رغم إحراجه له بما طلب وتهديده له في ذلك)، ووكلت امري معه الى الله. وبعد ايام من مرضه ذلك، وهو مشغول بنفسه، أخرجه الله عن الموضع بقدرته وكفاني شره وامن سربي، والحمد لله رب العالمين، وكم من نعمة لله علي هو المحمود المشكور».

ومثلما يتحلى ابن زهر بأخلاق الطبيب المثلى، فانه يتطلب من مريضه ان يتحلى، هو أيضا، بما يمكن ان نسميه، تجوزا، ب «أدب العليل»: كأن يقبل العليل نصح طبيبه ويتبع ارشاداته، وان يكون صبورا جلودا ان كان يحتاج تلقي العلاج الى صبر وجلد، وان يثق بطبيبه ويبتعد بالتالي عن الاساءة اليه... وان في «كتاب التيسير» قصصا واشارات الى ذلك، نورد إحداها مثالا على بعض ما يتطلب ابو مروان في العليل من أدب!

كانت النكبة، التي حلت بعبدالملك وأبيه زهر، قد أدت به الى ان يعتقل من قبل الامير علي بن يوسف الذي اودعه السجن.

وقد أخذ طبيبنا يعالج المرضى من «رفاق السجن». فعرض له واحد منهم اسمه «بواذودين»، عرّفه لنا بأنه كان من «قوم» الامير علي ابن يوسف (أي بربريا) وانه ينسب الى احد قواد الدولة الكبار! وكان يعاني من «ثؤلول في المعدة، ما فتىء يكبر مع تزايد هزال صاحبه... يقول ابن زهر: وقد «عالجته بما يسكن من اعراضه، وانا اعلم انه ميت واستحيي أن أخبره بذلك».

حتى كانت ليلة رغب فيها المريض من صاحب له ــ وكان هذا من زعماء قومه ــ أن يأتيه بالطبيب. فأسرع اليه ابو مروان، «فوجدته ــ يقول ــ كالمغضب علي، وتخيل اني، بسبب اني موتور من سلطانه، لم اجتهد له. وقد علم الله اني اجتهدت له، ولكن المرض نفسه وضعف قوته لم يمكني من ذلك ابراؤه، وكل شيء بقدر».

وفي غضب بواذودين ـ ولنقل: في يأسه ـ أخذ يتوعد ابن زهر موهما اياه بأن عليا بن يوسف سوف يضربه! فأجاب الطبيب السجين غير مجادل: «ما قدر الله بنا يكون!». ثم وقف عند باب النوالة (الزنزانة)، وأخذ يقول، غير مالك زمام نفسه من فرط ما اجتاحه من حرج وضيق صدر، موجهاً خطابه الى صاحب المريض وعلى مسمع منه:

«ان هذا الرجل اراد ان يؤلم نفسي بالباطل. وكم (اردت) ان أنصحه وأخبره انه ميت لا محالة، لعله يراجع بصيرته، فاستحيي من ايلام نفسه! أما وقد أراد ان يؤلمني بالباطل، فأنا أشهدكم انه ان أتم اثني عشر يوماً من ليلته هذه الا وقد حل بطن الأرض، ان علي لبنيان الصومعة بمراكش خمسمائة مثقال ديناً!».
ويتابع ابن زهر في حديث الى قارىء كتابه: فلسبعة أيام، ظهر من اختلال حاله ما استدعى بسبب ذلك زوجه، وجعل خوله يدخلون اليه ويخرجون ويموجون، فمات في اليوم التاسع من قولي ذلك، وهو مسجون»!

ونحن، من ناحيتنا، لا نعفي طبيبنا ابن زهر، من ظنه ارتكابه الخطأ في تصريحه بتوقعه الموت لهذا العليل المدنف، وعلى مسمع منه، فهو يقول: «وسمع صوتي، وقصدت إسماعه!»... وقد كان أولى به ـ وهو الطبيب الخلوق السمح ــ ان يتجمل بالحلم بازاء صرخة نزقة، يرسلها مريض يائس مسجون، مع ما فيها من تجــارؤ وسفاهة قول. ولكن عذر ابن زهر انه هو ايضا سجين يكابد في سجنه التعاسة والشقاء، وان كان معافى. والانسان، مهما سما بعلمه وفضله، تنتابه لحظات ضعف تحت وطأة ما يعصف به من انفعال!

والحق يقتضينا أن نبين ان عبدالملك بن زهر، الذي اعتقل لسبب ما يزال مجهولا، قد اطلق سراحه في عهد هذا السلطان المرابطي نفسه، واسترد بعض منزلته عنده فعاد واحدا من أطبائه الخاصين، كان ذلك بعد سنة ٥٢٥ هـ. ثم ان دولة المرابطين دالت، وتم للموحدين، أصحاب الدولة الجديدة، أن يبسطوا، سنة ٥٤٢ هـ، سلطانهم على المغرب والاندلس جميعا. وأظهر اول امرائهم، الخليفة عبدالمؤمن بن علي، «العدل، وقرّب اهل العلم وأكرمهم ووالى إحسانه اليهم، واختص ابا مروان عبدالملك بن زهر لنفسه، وجعل اعتماده عليه في الطب، وأناله من الانعام والعطاء فوق امنيته»، كما يقول ابن ابي اصيبعة في ترجمته لعبدالملك بن زهر.

ومثلما توفي الطبيب الأب، زهر، بذلك المرض العضــال الذي كان يسمى «النغلة»، كذلك قضـــى عبدالملك بهذه العلة الصعبة. وقد توفي سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م)، ودفن ببلده اشبيلية خارج باب الفتح.

وعن كتابه الشهير «التيسير»، يقول الدكتور احمد شوكت الشطي انه يمكن تشبيهه «بكتب المداواة السريرية الموسعة اليوم، التي تعطي لمحة عن المرض، وعن علاماته واسبابه وأعراضه، ثم تتوسع في (بيان) طرق معالجته واكثر الأدوية نفعا فيها».

ويقـــول المستعرب الاسباني سلفادور غوميث نوغاليث، في محاضرة له ألقاها باللغة العربية بدمشق، في اسبوع العلم الثالث عشر ١٩٧٢ الذي تنــاول في بعض محاضراته ابن زهر، بمناسبة الذكرى التسعمائة لمولده، يقول: «مختصر القول هو ان ابن زهر، كما يقول الاسبان، هو أفضل طبيب اندلسي، كما كان الرازي افضل طبيب مشرقي».

ويقول ألدو ميلي في كتابه «الطب عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي»: «ويعد ابن زهر أعظم طبيب عربي عملي بعد الرازي»، هذا في عصر لم يكن فيه لدى الغرب تقدم في الطب ولا مستشفيات.

وجدير بنا ان نختم مقالنا الصغير هذا عن طبيبنا الكبير، فنقول ان «كتاب التيسير في المداواة والتدبير»، الذي تمت ترجمته الى اللغة اللاتينية؛ قد اتخذ مقررا دراسيا في جملة المقررات المقبولة في ذلك الزمان وظل يُدَرَّس في جامعات اوروبة، مثل جامعتي لوفـــان ومونبلييه، حتى القرن الثامن عشر الميلادي □

ذلك معنى الحياة

بقلم : منذر شعار / الكويت



« ليلهم .. ليل الغادرين .. وما سكن ليلي .. وها هي فرس (بَرَّاق) تصهل، ودخل براق خيامه، وما بقي في العشيرة من عين صاحية الا عيناي .. والا هذا .. خنجري في حزامي .. »

كان الفتى يهمس بهذه الكلمات في صدره همس الرعد وهو يزحف في اتجاه خيمة معزولة مفردة من مضارب قبيلة بَرَّاق .. يزحف انسلالا وقد أمن الرقباء في ستار الليل الى خيمة غفلت عنها العيون من زمن طويل.

وبينا هو يتحفز ويتلفت .. اذ سمع من تلك الخيمة أنينا .. فانتبه أكثر وقال أنين ورب الكعبة، فهل هو أنينه؟ الالم يدلني عليه .. هناك هو .. في تلك الخيمة المفردة وقد غفلت عنها عين الحارس لتقادم السنين .. سأزحف الآن أكثر.

وزحف بكل حذر وتحفز حتى بلغ الخيمة، فقام فدلف اليها كاللحظ، وصار في داخلها .. ونظر فيها الى السجين القديم الذي مشى اليه من مسافات، فراعه وملأ نفسه .. وانتبه السجين، في قيوده، وفوجيء بالشخص يدخل عليه اذ لم يتعود دخولا غير دخول السجانين البشعين .. وقال :

ـ من هذا؟ .. من ...

وتلفظ الفتى بعد تأمل .. فقال :

ـ اذن .. انت هو ..!!

وقال السجين :

ـ من الشخص جاء به الظلام الى ربيب الظلام.

قال الفتى من فوره :

ـ انا الفجر

ـ الفجر ؟

ـ أنا النور .. أنا الشمس.

ـ ويح نفسي .. منذ كم لم أسمع هذه اللهجة .. لماذا جئت ايها الفتى بالله ..

ـ جئت أنقذك ...

ـ تنقذني ؟ .. تنقذني ؟..

ـ مالك ؟! تقع عليك الالفاظ موقع الغرابة.

ـ هل تعرف من تُحدِّث..ايها المجهول.. انك تحدث سجينا منذ تسعة عشر عاما.

ـ أي .. منذ كان عمري سنة ..

وهنا هجمت على السجين العتيق ادراكات، وانجابت عن نفسه المثخنة غشاوات، وبرق فجأة في فؤاده صباح، وانهالت على يَبَس احساساته الابوية القديمة أمطار غزار .. وما شعر الا بنفسه يصيح فاتحا ذراعيه والحديد يَصِلُّ فيهما صليلا كأنـــــه الزغاريد.

ـ ابني .. ابني الحبيب (رِمال) ..

وانقذف الفتى في أحضان أبيه ذلك الانقذاف النبيل الذي تعجز عن تصوير حنانه قصائد شعراء الارض ..

وفي الحديث بعد العناق، والحزم بعد انثيال الأشواق، تفاهما، وتصارحا .. وعــرف كلٌ ما ينبغي عمـــله .. وقد كان السجين هذا هو « شايع الأمسح »، أحد ذؤبان البادية وصعاليكها، وكان يغير متجاسرا على حِمَى (برّاق) وهو شيخ ضخم، ولا يبالي به، حتى أهاجه وأسخطه، ووقع المقدور وأمسك بَرّاق بشايع .. فتوقع الناس أجمع وشايع نفسه بالقتل المريع، لكن بَرَّاقا اقترف يومئذ شيئا أشد فظاعة؛ لم يقتل شايعا، وسجنه في خيمة مفردة تسعة عشر عاما، مهانا مقيدا، وليس هذا بشيء .. لكن المؤلم لشايع يومئذ انه كان له ابن طفل عمره سنة، فتوسل الى برّاق ان يتركه يراه، فأبى، فبذل له ماء وجهه وذل له ذلا كبيرا في سبيل ان يروي حنانه الفطري.. فازداد برَّاق قساوة، وتركه حيا سجينا محروما من امتداده الطبيعي .. ابنه وفلذة كبده.

ومرت السّنون تزاحف، وأوقعت ام رمال في نفس طفلها ان اباه مات، ونشأ الطفل ولا أب له، فلما بلغ عشرين عاما طاف بقبيلتهم رجل فأخبر انه رأى شايعا سجينا عند برّاق، خلسة، ومصادفة، وكان برّاق يكتم تعذيبه لشايع لكيلا يتشفع به اليه مخلوق. وزحف الفتى الى ديار برّاق، ولقي اباه .. واتفقا لا على الرجوع الى الديار .. لكن على الانتقام.

يقول شايع لابنه: ليس هو انتقاما يا رمال بقدر ما هو تأديب .. ان العبث بالبنوّة، هو ما ينبغي ان تبعده الصحراء الكريمة عن خصومات اهلها..

وبدأت الخطة..

وافتقدت زوج برَّاق صبحا طفلها. وبحثت عنه، ونبش رجال برَّاق الارض تفتيشا عنه فلم يُعْثر له على اثر.

وفي حومة الرعب الاومومي والأبوي في بيت برّاق برز السجين القديم بقيوده .. شايع الامسح .. يقول: ابنك عندي يا برّاق..

ورمت الأم نفسها، دون حرج، على قدمي شايع تقول دموعها قبل كلماتها: أعد لي طفلي يا فارس العرب...

ونظر برَّاق بصمت أبلغ من مائة خطبة، لكن شايعا قال: ابنكما في ديار قومي، أخذه ابني (رمال) الذي حرمتموني منه تسعة عشر عاما، فها إن الفتى كَبِر وجاء يحرمكم هو من ابنكم.

وكان لا بد من الرضوخ لشروط شايع .. ومن يطيق المخاصمة والابن الطفل الحبيب في قلب المساومة:

ـ تذهبان كلاكما .. برَّاق وزوجه .. فتدخلان حيَّ قومي .. وفرس برَّاق المشهورة وراءكما .. وهي تمشي من هنا الى هناك على الزّل ..

هــذا هــو الثمن ..

ومضت ليلة ولم يفهم برَّاق كيف تمشي فرسه على السجاد من دياره الى ديار بعيدة .. ان كل أمواله لا تفي بهذا.. ومن أين لهم الزل .. فراحوا أذلة الى سجن شايع يخفضون له جناحهم فوق خفض، فَرَقَّ لهم. وقال هذا أمر جد يسير.. نلصق في حوافر الفرس قطع زل فتمشي الفرس عليه.

وفي ديار أهل شايع تم اللقاء، ودُفِع الصبي الى أمه وأبيه.. وفي هذه اللحظة الرائعة من انتصار وحنان.. وتصحيح وتأديب..وقع شايع ميتا.. وحُفِرَت كُلَيْمات قالها قبل موته في قلب ابنه رمال:

ـ لعل موتي حان الآن .. وكل حي يموت.. ليبقى برَّاق متألما... ان من يعبث بالبنوّة يتحسر عُمْرَه..ان اجمل مواقف الدنيا..اب حان على طفله.. ذلك سر السعادة..ذلك معنى الحياة..

ويا له، كان، من احتفال بعودة الأسير القديم اذن..لقد اعطى شايع ثم ذهب، وأُدْلِيَ في لحده. وقال براق وقد جعلته الأحداث حكيما:

ـ عاد الى الذراعين الولد، ودُفِن مع الامسح السرور..

ورجع برَّاق الى دياره، وعاش رمال في القبيلة عيش ابيه وازدهرت اخلاقه كاخلاقه، وانطوت صحيفة من صحائف هذه الرمال الذي احسن الشاعر التعبير عنها بقوله:

رُدَّها صحراء إن شئـ ـتَ وموّجها رمالا
نحن نهواها على الجدْ ب اذا اعطت رجالا[1]

---

(١) الشاعر: عمر ابوريشة.

جسر السّعوديّة البحرين .. أمنية تتحقق لشعبين

يُوسف خالد أبوبشيت / هيئة التحرير

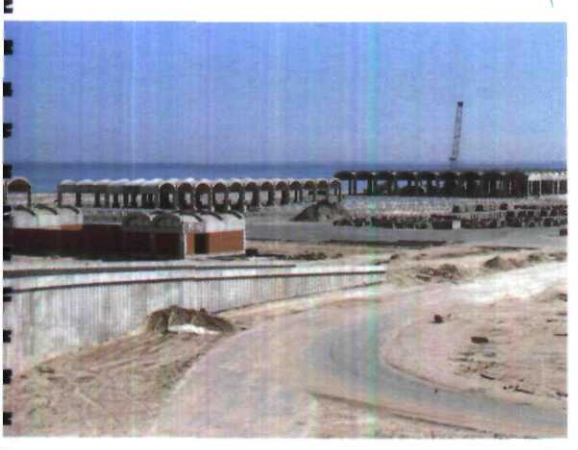
ما أجمل وأروع أن تتحقق بعض الأمنيات.. أمنيات الأمة الواحدة حين تتهيأ لها فرص تدعيم أواصر المحبة وتتاح لها سبل تعزيز عرى الإخاء.. تلك الأمنيات التي كانت تدغدغ مخيلة أجدادنا وأسلافنا الذين كانوا يمخرون مياه الخليج بسفنهم من موانىء الجبيل ودارين وتاروت والدمام والخبر والعقير الى البحرين وبالعكس في رحلات متتابعة سعيا وراء الرزق والتجارة، أو تتوقا لزيارة ذوي القربى.. نعم.. لقد كانت تلك الأمنيات تختلج في الصدور قبل ان تنطق بها الشفاه.. وأصبح الحلم حقيقة. فهذا هو جسر السعودية ـ البحرين.. جسر الخير والمحبة يمتد فوق مياه الخليج العربي، معززا روابط اخوية عميقة عاشها وما زال يعيشها أبناء البلدين الشقيقين في المملكة والبحرين بعد ان أفاء الله عليهما بنعمة الأمن والاستقرار وأسبل عليهما اثواب الرخاء.

وفي مقر إدارة مشروع الجسر السعودي البحريني الواقع في مدينة الخبر، التقت «القافلة» بالدكتور سليمان عبدالله الجريبان، مدير عام المشروع، الذي تحدث باسهاب عن جميع مراحل المشروع، وقال: «أخذت فكرة انشاء هذا المشروع الحيوي بين البلدين دفعة قوية في عام ١٣٧٥ هـ حينما كان جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله، في زيارة لدولة البحرين. ومنذ ذلك التاريخ، أخذ المشروع مجراه الطبيعي من حيث الدراسة والتصميم، حتى كان يوم الثامن من شهر يوليه ١٩٨١ حيث رست على شركة «بالاست نيدام قروب» الهولندية اتفاقية تنفيذه». وفي الحادي عشر من شهر نوفمبر ١٩٨٢[١]، تفضل جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز، وسمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، بوضع حجر الأساس في حفل رسمي حضره قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. وفي الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٨٥[٢] وَقَّعَ كلّ من معالي وزير المالية والاقتصاد الوطني في المملكة العربية السعودية الاستاذ محمد ابا الخيل، ومعالي وزير التنمية والصناعة في البحرين، الاستاذ يوسف الشيراوي، اتفاقية انشاء المؤسسة العامة للجسر البحري السعودي البحريني، التي ستضطلع بادارة هذا الجسر وتشغيله وصيانته. وفي الثاني عشر من يناير ١٩٨٦، صدر مرسوم ملكي يقضي بالمصادقة على اتفاقية انشاء المؤسسة. وفي العشرين من شهر يناير ١٩٨٦ تم تسليم المشروع مبدئيا من المقاول.

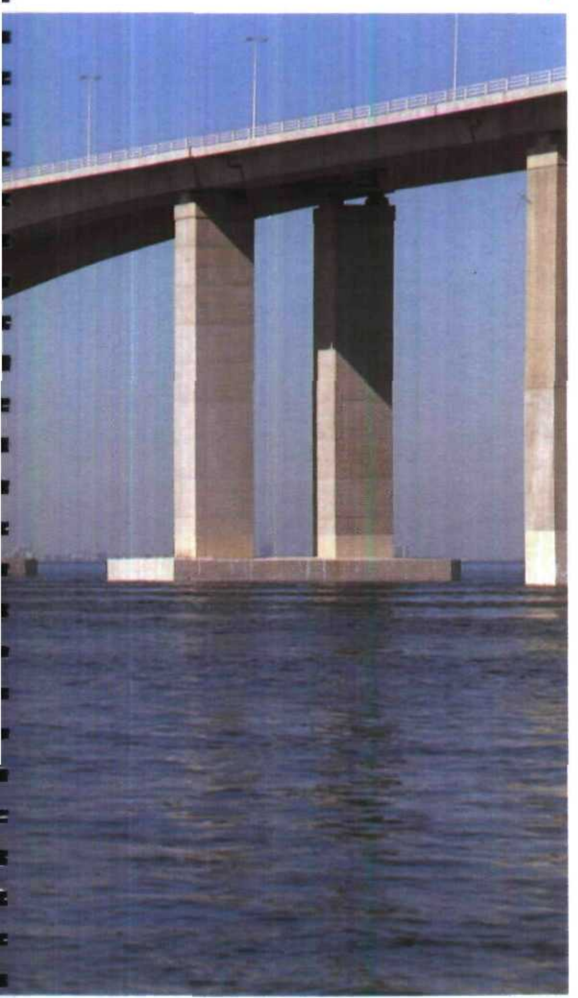
أهمية الجسر للبلدين

إن مشروعا في مثل هذا الحجم وفي هذه الضخامة سيكون له، ولا شك، مردود اقتصادي يوازيه كمّاً ونوعاً تنعكس آثاره الايجابية على اقتصاد البلدين بشكل خاص، وعلى بقية دول الخليج العربية بشكل عام، وذلك من خلال زيادة حجم التبادل التجاري وتنشيط القطاع الاقتصادي. وفي هذا الخصوص تقدمت «القافلة» بسؤال لصاحب السمو الملكي الامير محمد بن فهد بن عبدالعزيز أمير المنطقة الشرقية، عن أهم منافع الجسر للبلدين، فقال سموه: «إن الروابط التي تربط المملكة العربية السعودية بشقيقاتها دول الخليج العربية روابط متينة وعريقة، فوشائج القربى، وروابط الدين واللغة والتاريخ، والصلات القوية، ووحدة التقاليد الاجتماعية،

١



٢

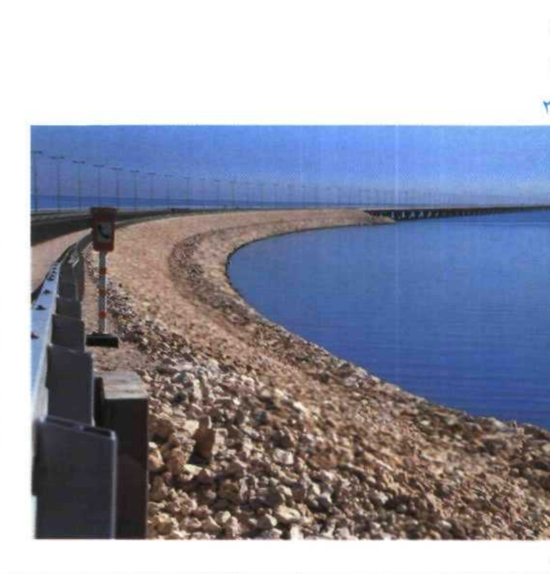


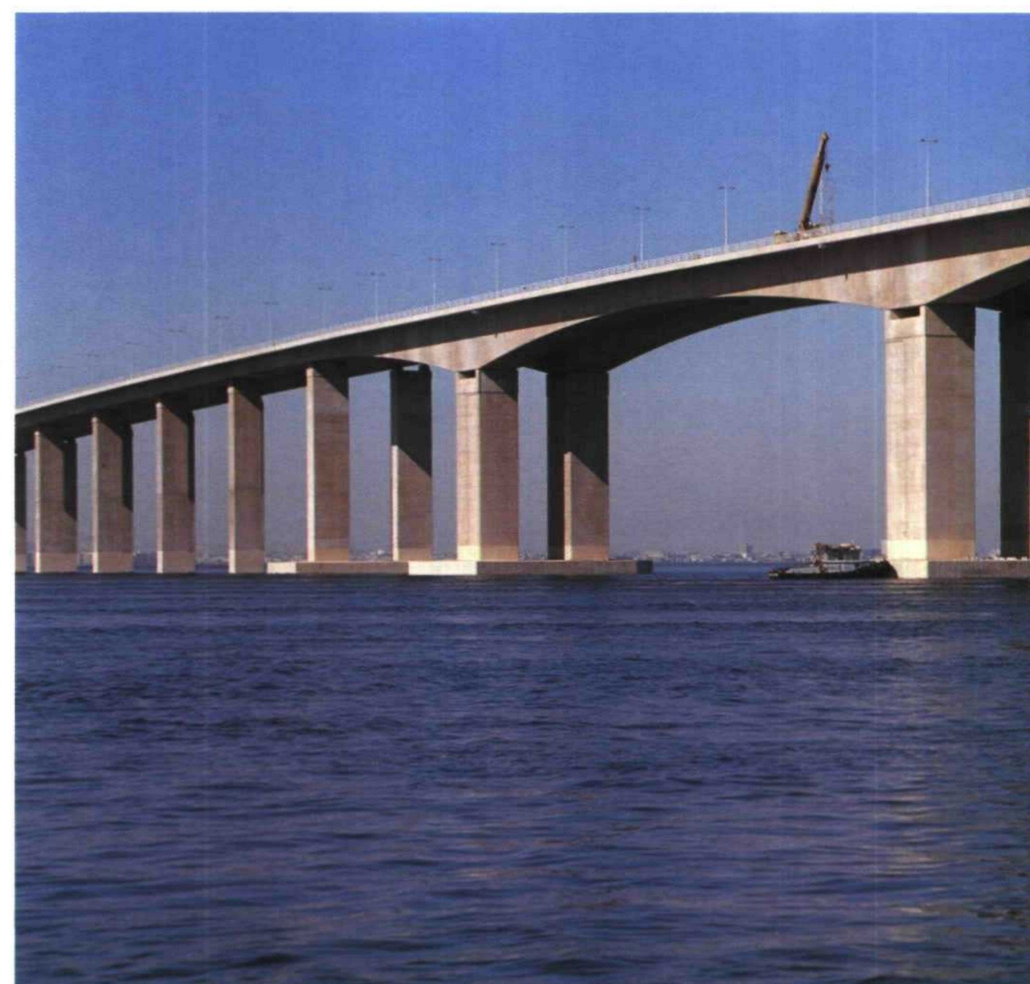
البلدين

٤

٣







١ ــ جانب من الجزيرة الاصطناعية التي بلغت مساحتها ٦٦٠ ألف متر مربع .

٢ ــ المعبر الرئيسي للسفن .

٣ ــ طبقات الصخور المستخدمة في عملية الرص لحماية الجسر من الامواج .

٤ ــ مسجد تحت الانشاء في الجانب السعودي من الجزيرة الاصطناعية .

تؤكد هذه الحقيقة. وما الجسر السعودي البحريني الا تجسيد لتلك الصلات الراسخة في القلوب. ومن أهم منافع الجسر العديدة انه يربط دولة البحرين بممر بري تنفذ منه الى شقيقاتها الدول الأخرى، ويعمل على تقوية الروابط الأخوية بينها وشقيقاتها، ويسهل حركة التنقل بين مواطني الدول، ويسهم في تنشيط الحركة الاقتصادية والتجارية والسياحية، وسيكون له، باذن الله، مردود طيب وفعال على دول مجلس التعاون الخليجي عامة، ودولة البحرين الشقيقة خاصة » .

الجوانب الاقتصادية للجسر

★ أعطى مجلس التعاون الخليجي وضعا متميزا وأولوية للبحرين وعُمان لاختيار مواقع

المشاريع الصناعية الخليجية المشتركة وتأمين الوصول الى المصادر الرئيسية لعدد من المواد الخام ، وربما سيكون ارتباط البحرين بدول الخليج العربية عن طريق الجسر عاملا مساعدا على تحقيق ذلك .

★ أقيمت في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية مشاريع اقتصادية عملاقة وسيكون من السهل على هذه المشاريع النمو والتوسع بين الصناعات المساعدة والصناعات الهندسية المرتبطة بها في البحرين .

★ من القطاعات الاقتصادية التي ستستفيد من الجسر قطاع النقل والمواصلات ويتبع ذلك ازدهار تجارة «الترانزيت» وإعادة التصدير في البحرين . وهناك اتصالات عديدة لاقامة مشروع مشترك للنقل البحري بين شركاء سعوديين وبحرينيين، كما سيستخدم ميناء سلمان بالبحرين كميناء «ترانزيت» للصادرات الى المملكة العربية السعودية .

★ تنشيط الحركة السياحية بين البلدين، حيث يعتبر قطاع السياحة في البحرين مركز جذب سياحي هام في الخليج . وتقدر نسبة الزوار السعوديين الى البحرين بما يتراوح بين ٢٨٪ و ٣٠٪ من عدد الزوار الذين يفدون اليها ، في حين تتراوح نسبة المسافرين البحرينيين الى المملكة العربية السعودية بين ٣٢٪ و ٥٠٪ من اجمالي حركة السفر من البحرين .

يعد الجسر السعودي البحريني أطول جسر بحري يتكون من ثلاثة مسارات باتجاهين متوازيين ، في العالم (المسار الثالث للطوارىء)، ويبلغ طوله خمسة وعشرين كيلومترا، ويبدأ في الجانب السعودي من منطقة العزيزية التي تقع جنوب مدينة الخبر، وتبعد عنها بنحو ستة كيلومترات . وفي الجانب البحريني يبدأ الجسر من منطقة الجسرة التي تقع الى الغرب من العاصمة المنامة . ويشتمل الجسر ، بشكل عام، على خمسة جسور بطول اثني عشر كيلومترا ونصف الكيلومتر ، وسبعة سدود بنفس الطول . كما ان من أتيحت له فرصة مشاهدة العرض التلفزيوني الخاص بمراحل عمليات انشاء الجسر ، وخاصة عملية صنع أعمدة الجسور وتثبيتها في قاع الخليج، يدرك ان جميع حقول علم الهندسة قد استخدمت في اعمال اختبارات التربة والأعماق والملوحة والخرسانة والحفر والرصف وأعمال التحلية والانارة والاتصالات . وقد تضمنت خطة بناء الجسر وما يتبعه من مرافق، أربع مراحل مختلفة، أهمها المرحلة الأولى التي اشتملت على اقامة الجسور والسدود . وكانت المرحلة الثانية عبارة عن انشاء المرافق والمباني على جزيرة اصطناعية تقع بين حدود البلدين تسمى منطقة الخدمات أو محطات الحدود . أما المرحلتان الثالثة والرابعة فقد اشتملتا على اقامة طرق الاقتراب السريعة تتخللها تقاطعات متعددة في كل من بداية الجسر في البلدين حتى شبكات الطرق الرئيسية، وذلك تسهيلا لمرور الشاحنات والسيارات الصغيرة. وتشير التقديرات الرسمية، الى ان التكلفة الاجمالية للجسر المذكور قد تصل الى نحو ٧٨٠ مليون دولار امريكي .

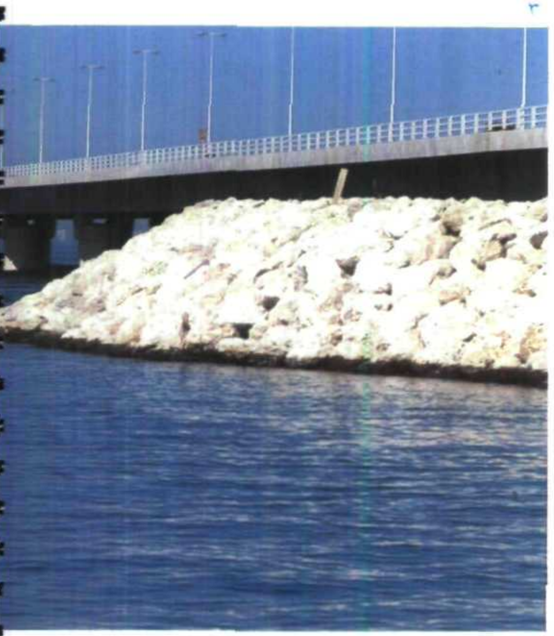
الجسور

أنشئت الجسور في المياه العميقة ما بين المملكة والبحرين على عمق يتراوح بين اربعة امتار واثني عشر مترا . وبلغ عدد الجسور المستخدمة في هذا الجسر خمسة جسور يتكوّن هيكلها العلوي من عوارض اسمنتية مسبقة الصنع ، منها ما هو بطول ٣٤ مترا ومنها ما هو بطول ٦٦ مترا وبعرض ١١ مترا، وهي مغطاة بطبقتين من الاسفلت يبلغ سمكهما ٨٠ ملليمترا . وقد تم صنع هذه العوارض الخرسانية في موقع العمل بجزيرة ام نعسان . ويتألف الهيكل السفلي للجسر من ركائز خرسانية قائمة على أعمدة مستديرة ومستطيلة يبلغ عددها ٥٥٥ عمودا ، قطر الواحد منها ثلاثة امتار ونصف المتر ، ويبعد الواحد منها عن الآخر ٥٠ مترا، ويصل عمقه الى اثني عشر مترا حيث الطبقة الصلبة من قاع البحر . اما في الجانب البحريني، فقد استخدمت بعض الركائز المباشرة القائمة على قواعد خرسانية مستطيلة الشكل ، لتحل محل الأعمدة، وذلك لتجنب اختراق محاجر المياه في تلك المنطقة . ويوجد بين هذه الجسور الخمسة، جسر رئيسي (رقم ٣)، وهو ممر ملاحي، يرتفع

١



٣



١ ـ صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز : «... سيكون للجسر ، بإذن الله، مردود طيب وفعال على دول مجلس التعاون الخليجي عامة، ودولة البحرين الشقيقة خاصة .. »

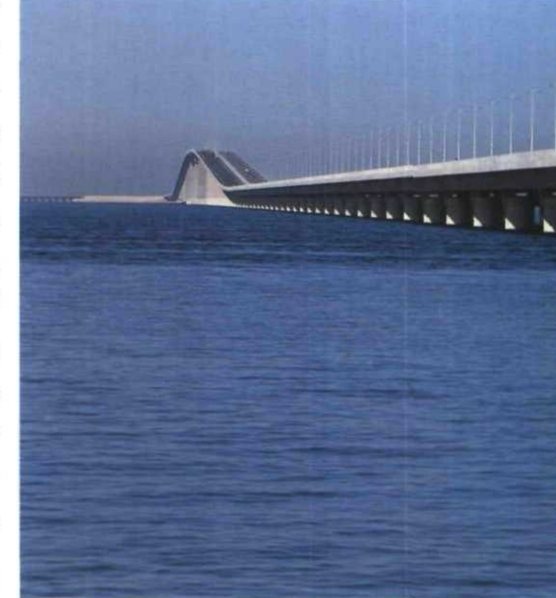
٢ ـ الدكتور سليمان عبدالله الجربيان، مدير عام مشروع الجسر البحري السعودي البحريني .

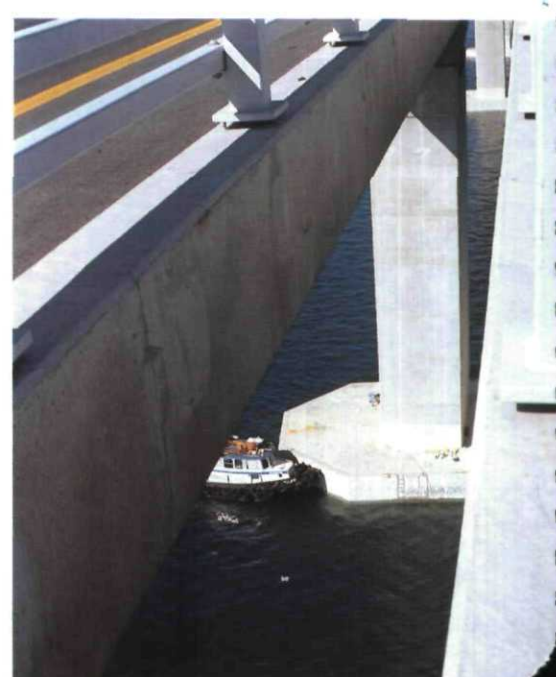
٣ ـ نقطة التقاء احد السدود بأحد الجسور .

٤ ـ استخدم في بناء الجسر اعمدة ضخمة حسب مواصفات فنية دقيقة، وتبين الصورة ضخامة العمود بالنسبة لقارب الصيانة الكبير الذي يبدو صغيرا في الصورة .

تصوير : **محمد صالح آل شبيب**/ارامكو







عن سطح البحر بنحو ٣٢ مترا ونصف المتر وبعرض ١٥٠ مترا، وقد خصص ليكون معبرا رئيسيا للسفن الكبيرة التابعة للبحرية السعودية وشركة ارامكو وغيرها . اما القوارب وسفن الصيد الصغيرة فيمكنها استخدام ممرات الملاحة الاخرى عبر الجسور التي ترتفع ١٥ مترا عن سطح البحر .

السدود

تم بناء سبعة سدود في المناطق الضحلة، حيث تتراوح أعماق البحر هنا ما بين متر وأربعة أمتار ويتراوح طول السد الواحد منها ما بين ٧٠٠ متر و ٣٦٠٠ متر . وقد تطلبت عملية اقامة السد الواحد بناء حاجزين متوازيين من ركام المحاجر، التي غطيت بمواد ترشيحية وعازلة لمنع تسرب الرمال الى خارج السد، ثم ملء الجزء المحصور بين الحاجزين بالرمال المستخرجة من قاع الخليج . وقد رص جانب السد بكميات من الصخور الضخمة لحمايته من التيارات البحرية والامواج، خاصة اثناء اشتداد الرياح . وبلغت تكاليف اقامة هذه الجسور والسدود حوالي ٥٨٠ مليون دولار امريكي، بما فيها حواجز السلامة المقامة على الجانبين من الطريق وأعمدة الانارة وغيرها من الملحقات .

الجزيرة الاصطناعية والمرافق الأخرى

كانت المرحلة الثانية من المشروع هي إنشاء جزيرة اصطناعية بين حدود البلدين تبلغ مساحتها ٦٦٠ ألف متر مربع، وقد استغرق بناؤها ١٨ شهرا . وقد خصصت هذه الجزيرة لاقامة منشآت الجمارك والجوازات والصحة والدفاع المدني وسلاح الحدود والأمن العام والمطاعم والمساجد وغيرها من المرافق الضرورية وذلك ضمن المرحلة الثانية. وقد استخدم في اقامة هذه الجزيرة نفس الاسلوب الذي استخدم في طمر السدود، وذلك عن طريق ضخ رمال مستخرجة من قاع الخليج عبر أنابيب خاصة . وبعد عملية الضخ تتم عملية التسوية، ثم الدكّ الديناميكي .

ومن المرافق الأخرى التي تَطلَّبَ الجسر إنجازها، إنشاء طريقين رئيسيين تتخللهما تقاطعات متعددة في كل من المملكة والبحرين لربط الجسر بشبكة الطرق الرئيسية، وذلك تسهيلا لعملية مرور المركبات الصغيرة والشاحنات، ويبلغ طول هذه الطرق في المملكة ٣٢ كيلومترا، وفي البحرين ١٣ كيلومترا. كما أقيمت محطة عند مدخل الجسر في المملكة، لوزن الشاحنات، وذلك للتأكد من ان احمالها لا تتعدى الأحمال المسموح بها بعبور الجسر .

وأثناء الجولة التي قامت بها «القافلة» على الجسر، تطرق الدكتور سليمان عبدالله الجريبان في حديثه الى امكانية فرض رسوم على الافراد والمركبات المستخدمة للجسر، وذلك للاسهام في تغطية اعمال الصيانة والخدمات الأخرى اللازمة . وقد أقيمت مراكز لجمع الرسوم من قبل مستخدمي الجسر . كما تحدث عن الخبرة التي اكتسبت من خلال اقامة هذا المشروع، وقد أثنى على الدور الكبير الذي قام به المسؤولون في المملكة وعلى رأسهم معالي وزير المالية والاقتصاد الوطني في ظل توجيهات صاحب الجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز □

(١ و ٢) جريدة اليوم العددان : ٤٥١١ و ٤٥٨٨ .
(٣) نشرة اتحاد الغرف العربية الخليجية .

كتب مهداة



★ «**مائة سؤال عن التحرير الصحفي**» للاستاذ طلعت همـام . صدر الكتاب ضمن موسوعة التحرير الصحفي عن دار الفرقان للنشر والتوزيع في عمان ــ بالمملكة الاردنية الهاشمية . يقع الكتاب في ١٦١ صفحة .

وتدور الاسئلة عن الصحافة بشكل عام واسلوب استقاء الاخبار وكتابتها . فيضع الكاتب السؤال في رأس الصفحة ثم يجيب عنه بنفسه باسلوب علمي تدريبي يفيد الدارسين والعاملين في المجال الصحفي □



★ «**الحفلـــة**» مجموعة قصص قصيرة للاستاذ عبدالله باخشوين. يقع الكتاب في ١١٤ صفحة تحتوي على ثماني قصص اجتماعية هي : يقظة مبكرة، موت ايوب، الاصدقاء، الحفلة، مطر الغيوم الراحلة، كل الخطى وئيدة ... كل الخطى مسرعة، الدنيا قادمة، اغنية للموت ... اغنية للجنون. والكتاب من منشورات نادي جازان الأدبي □



★ «**عود الكبريت**» للدكتور احمد الزعبي، وهو مجموعة قصصية تضم خمس عشرة قصة قصيرة، تدور مشاهدها بين عالمين، الاول وهو العالم المنظور المرئي الذي يراه الناس، والثاني وهو العالم الخفي الكامن في اعماق الذات البشرية. وقد صدرت هذه القصص في لحظات انفتاح العالم الجواني، على العالم الخارجي او العكس، وتقع المجموعة في ٤٧ صفحة من القطع المتوسط □



★ «**متابعات أدبية**» للدكتور محمد صالح الشنطي، ومن اصدارات الجمعيــة العربيــة السعودية للثقافة والفنون ــ فرع الدمام. يحتوي الكتاب على مجموعة مقالات في الثقافة والأدب نشر معظمها في الصحف السعودية في اوقات متفرقة. وقد اشتمل الكتاب على اربعة ابواب في : الشعر ، القصة القصيرة ، الشعر الشعبي، وتعقيبات وردود. ويقع الكتاب في نحو ١٦٤ صفحة □



★ «**ايدز ــ نقص المناعة المكتسبة**» للدكتور حرب عطا الهرفي، وهو من منشورات تهامة. يقع الكتاب في ١٠٩ صفحات ومزود ببعض الصور . يتحدث المؤلف في هذا الكتاب عن المرض بشكل عام، تاريخ ظهوره وتطوره والوسائل المتبعة في علاجه، وكيفية انتقال العدوى من المصابين به الى غيرهم، وضرورة الأخذ باسباب الوقاية منه □



★ «**حكايات الشيخ والفتى**» ثلاثة اجزاء للاستاذ عبدالفتاح رمضان عبدالعال. يقع الجزء الاول في ١٥٠ صفحة ويشتمل على مجموعة حكايات تربوية في الأدب والسلوك، ويقع الجزء الثاني في ٢٢٠ صفحة وتشتمل الحكايات فيه على مختلف المعارف والعلوم، أما الجزء الثالث فيقع في ١٧٥ صفحة وتعنى الحكايات فيه بالفضائل والفنون. وقد صدرت الكتب الثلاثة خلال العام الماضي ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م □

الاتجاهات والميول وأثرهما في سلوك الأفراد

بقلم: محمد رجاء حنفي عبد المتجلي / القاهرة

يكتسب الفرد من خلال تفاعله مع المجتمع الذي يعيش فيه، وعن طريق الخبرات التي تتكون لديه اثناء ممارساته اليومية؛ دوافع مختلفة، واستعدادات شتى، وذلك كميله الى الرحلات، والتصوير، او طموحه للوصول الى مركز اجتماعي معين، أو حبه للخير وكراهيته للظلم، ومن هذه الدوافع التي يكتسبها اتجاهاته النفسية نحو الاشياء العامة، يضاف الى ذلك ما يكتسبه من صفات خلقية مختلفة، كالشجاعة أو التسامح، أو الاخلاص.

وهذه الدوافع لها عدة أسماء متعددة، كالاتجاهات النفسية، او الميول المكتسبة، او الاهداف والمثل، او العقد النفسية، أو الاهداف، وهذه الدوافع بعضها شعوري، والآخر غير شعوري، وليس المقصود بالدوافع الشعورية ان يكون الفرد شاعرا بها في كل وقت، بل انها في حالة كمون ولا تظهر حتى يثيرها منبه داخلي، أو خارجي.

وتلك الدوافع عبارة عن استعدادات ثابتة نسبيا، بمعنى انها ليست حالات وقتية طارئة، ومن هنا فهي تطبع شخصيات الافراد وسلوكهم، وتميز بعضهم عن بعض تمييزا كبيرا.

ولا يختلف التعريف الذي يعطى لاصطلاح الاتجاهات كثيرا عن المعنى اللغوي لها، لأن معظم التعاريف تدور حول حالة الاستعداد او التهيؤ، ومن التعريفات المشهورة للاتجاهات، التعريف الذي يقول: «الاتجاهات عبارة عن حالة استعداد ذهني وعصبي، منظمة عن طريق الخبرة، وتواجه الاستجابات الخاصة بالافراد نحو كل الاشياء، والمواقف التي تتعلق بها». وهذا التعريف يشير الى النواحي الاساسية في اصطلاح الاتجاهات، وهي:

★ الاتجاهات الاجتماعية عبارة عن حالات من الاستعداد، او التهيؤ.

★ الاستعدادات مكتسبة عن طريق الخبرة، أو التجربة، أو التعلم.

★ الاستعدادات متصلة بعضها ببعض في التنظيم المعرفي للفرد.

★ الاستعدادات تحدد تقييم الفرد للمنبهات الاجتماعية.

ان الكثير ممن يتناولون هذا الموضوع يقصرون اصطلاح الاتجاهات على الاتجاهات الاجتماعية والعامة، فيوجهونها نحو النظم الاجتماعية، أو الشعوب، أو الافكار العامة، فاذا كان الاتجاه مشحونا بشحنة انفعالية قوية سمي «عاطفة»، كعواطف الحب، والكره، والطموح، وعواطف الذات المختلفة، ومتى تضخمت هذه العاطفة وبرزت، وشغلت جزءا كبيرا من شخصية الفرد سميت «هوى».

الاتجاهات النفسية

ان المقصود بالاتجاهات النفسية هو: الاستعداد الوجداني الذي يميل بالفرد الى الاستجابة بطرق خاصة، تجاه موضوعات خاصة، سواء كانت هذه الموضوعات اشياء، او اشخاصا أو جماعات، أو افكارا، أو نظما ومبادىء. ومن هنا يمكننا تصنيف الاتجاهات النفسية من جميع جوانبها المختلفة على النحو التالي:

★ **اتجاهات موجبة أو اقدامية:** وهذه الاتجاهات تميل بصاحبها الى موضوعات محددة، فتجعله يقبل عليها، أو يحبها، وذلك مثل حب شخصية بارزة، أو حب طعام معين.

★ **اتجاهات سالبة أو احجامية:** وهذه الاتجاهات تميل بصاحبها عن موضوعات معينة، فتجعله يرفضها، أو يكرهها.

★ **اتجاهات عامة:** وهذه الاتجاهات تكون موضوعاتها مادية عامة، كالعطف على الفقراء

والمساكين والحنو عليهم، أو تكون مجردة معنوية، كالنفور من الكذب.

★ **اتجاهات خاصة**: وهذه الاتجاهات تكون موضوعاتها أشياء، أو أشخاصا معينة، كحب صديق أو الاعجاب برئيس أو زعيم.

★ **اتجاهات فردية**: وهذه الاتجاهات لا يشترك فيها مجموعة من الناس، بل تكون قاصرة على الفرد نفسه.

★ **اتجاهات جمعية**: وهذه الاتجاهات يشترك فيها مجموعة من الناس.

★ **اتجاهات سرية**: وهذه الاتجاهات تجعل الفرد ينزع الى اخفائها، وفي بعض الاحيان تدفعه الى انكارها.

★ **اتجاهات علنية**: وهذه الاتجاهات لا يتردد الفرد في التصريح بها، بل واعتناقها.

★ **اتجاهات داخلية**: وهذه الاتجاهات تميل بصاحبها الى احترام ذاته، أو حبها، أو استصغارها، أو ضعف الثقة فيها.

★ **اتجاهات خارجية**: وهذه الاتجاهات تميل بصاحبها الى موضوعات خارجية.

★ **اتجاهات شعورية**: وهذه الاتجاهات تجعل الفرد يشعر بوجودها، ككره الرياء والنفاق وخلف الوعد.

★ **اتجاهات لا شعورية**: وهذه الاتجاهات لا تجعل الفرد يشعر بوجودها، كالعقد النفسية.

كيفية تكون الاتجاهات

تتكون الاتجاهات والعواطف عن طريق تكرار اتصال الفرد بموضوع الاتجاه في مواقف مختلفة، وتثير فيه خبرات سارة أو مؤلمة، وقد يتكون الاتجاه في بعض الاحيان اثر صدمة انفعالية واحدة، فالصدمة العنيفة من حادثة سيارة مثلا، قد تخلق استجابة الخوف من ركوب السيارات كلها.

وتقوم القابلية للايحاء بدور كبير، وعلى جانب عظيم من الاهمية في تكوين الاتجاهات، وخاصة في الاراء والمعتقدات، اذ انها السبب في سرعة تصديق الفرد وتقبله للآراء والأفكار دون مناقشة أو نقد. فنحن نعتنق في مجتمعاتنا التي نعيش فيها الاتجاهات وكل الآراء التقليدية الشائعة، دون نقد أو تحليل على وجه الاطلاق، وبناء على هذا فالكثرة الكثيرة من اتجاهاتنا وعواطفنا لم نكتسبها عن طريق التفكير والتحليل، بل بطريقة لا شعورية غير مقصودة قوامها التكرار والقابلية للايحاء.

ومما يجدر ذكره ان الاتجاهات والعواطف المعنوية المجردة، كحب الامانة مثلا لا تتكون لدى الفرد قبل مرحلة المراهقة، لأن تكوينها يتطلب مستوى عقليا لا يتوفر في العادة لدى الطفل، حيث لا بد من التفاعل المستمر مع البيئة، لأن سلوكه يتوقف على ادراكه للاشياء الموجودة في البيئة، ولكي نعرف الامانة يجب ان نفهم معناها اولا، وهذا صعب وعسير على فهم الطفل وادراكه، ومثل هذه الاتجاهات والعواطف تحتاج الى وقت طويل، وتدريب متصل، حتى تستوي في نفس الفرد، فحب الامانة وهي صفة مجردة معنوية لا تحتل مكانا في نفس الفرد الا بعد ان يكون الفرد قد خبر الامانة واحبها، وعرف قيمتها في مواقف محسوسة مختلفة.

واتجاهاتنا نحو الناس عادة ما تكون جذورها خافية علينا، لأنها لا شعورية، فمن الناس من لا يستطيع ان يقبل أية ملاحظة أو نقد يوجه اليه، ومنهم من لا يطيق أي مدح أو اطراء يوجه الى غيره، واغلب الظن ان هؤلاء وأولئك لا يفطنون الى ان اتجاهاتهم هذه ترجع اصولها الى عهد الطفولة، يوم ان كان الوالدان يتخذان من مدح بعض اطفالهم وسيلة لاغاظة البعض الآخر، أو لومه، او السخرية منه، أو قهره.

الأسرة ودورها في تكوين الاتجاهات

من المعلوم ان الاطفال يتشربون عن غير عمد الكثير من القيم، والآراء، والمعايير والاتجاهات السائدة في أسرهم، بيد أنه من المقرر نفسيا ان هذه المعايير والاتجاهات ذات تأثير قوي ينطبع في شخصية الافراد، وخلقهم، وطرق معاملتهم للآخرين، فاتجاهاتنا نحو الناس، وصلاتنا العاطفية بهم، واتجاهاتنا الخلقية تجاه الخير والشر، وتجاه الحق والباطل والمباح وغير المباح، والصواب والخطأ، وما الى غير ذلك، محكومة الى حد كبير بما تعلمناه وتلقيناه تدريجيا في محيط الاسرة.

ان الاسر لها دور عظيم وخطير في تنشئة الافراد وتكوين اتجاهاتهم، فالاسر التي يتوطد فيها الحب والتفاهم، والود القائم على الثقة، والاحترام والتقدير، وتحتفظ بالتوازن بين الحرية والتقييد، هي الأسر التي تخرج للمجتمع افرادا اسوياء راشدين، اما الأسر التي تبث في نفوس صغارها عواطف النقمة والحنق، القائمة على الخوف والغضب، فهي التي تخرج للمجتمع افرادا قد انحرفوا الى الجنوح والاجرام. فالفرد الذي يتعود على الهروب من المشاكل والصعاب من صغره، يستقبل عهد الرجولة خائفا مستكينا منطوياً، ومن دلل وهو صغير، فهو ينتظر ان يدلل وهو كبير، ومن نشأ في بيئة عدائية لم يشعر بجو الصداقة اينما حل، ومن هنا كانت الاسرة هي الركيزة الاولى في تكوين الاتجاهات عند الافراد.

الاتجاهات وأثرها في سلوك الأفراد

ان اي سلوك صادر من الافراد انما هو استجابة لحاجة محددة، أو توتر معين، فالفرد ينظر الى الاشياء المحيطة به في البيئة على انها عامل مساعد له في تحقيق هدفه، وينظر الى بعضها الآخر على انها عائق يقف في طريق الوصول الى هذا الهدف.

من الواضح ان عددا محددا من اتجاهات الفرد هي التي تكون نشطة في وقت معين، ويتوقف سلوك الفرد في لحظة محددة على القوى المختلفة التي تؤثر عليه، وقد تكون بعض هذه القوى عقبات مادية، تحول دون تحقيق الهدف، وقد تكون قوى جديدة يدركها لأول مرة. ولذلك يجب التفريق بين الاتجاهات، وبين الآراء والمعلومات، فالاتجاهات قوى دافعة موجهة، والآراء والمعلومات قوى خامدة، ومن هنا فمن الواجب علينا ان يكون رائدنا في تربية الاطفال تكوين الاتجاهات لديهم، بدلا من ان نقف عند مجرد حشو أذهانهم بالمعلومات. وتتكون الاتجاهات عن طريق الخبرة الشخصية، والأخذ والعطاء، وليس عن طريق النصح والارشاد، فالاتجاهات الخلقية لا تتكون من مجرد معرفة الفرد بالمبادىء والقيم والمثل

الخلقية. فهناك الكثير من الافراد يعرفون الخير ولكنهم يسيرون في طريق الشر، فلا يكفي ان نعرف الخير، بل يجب ان نحس به ايضا، لأن العاطفة الخلقية خبرة نفسية ومعرفة في نفس الوقت.

ان سلوك الاطفال مرتهن الى درجة كبيرة بالظروف الخارجية المتغيرة، يتغير بتغيرها ويتقلب بتقلبها، ولذلك فهو سلوك يحتاج الى الثبات والاستقرار، ويصعب التنبؤ به. فقد يسرق الطفل في موقف ولا يسرق في موقف آخر، أو يكذب على والده ولا يكذب على زميل له، أو يغش في الامتحان ولا يغش في اللعب، والسبب في هذا الثبات والاستقرار في سلوك الكبار هو ان الطفل عاجز عن اكتساب الاتجاهات والعواطف الخلقية العامة التي تهب سلوكه شيئا من الثبات والاستقرار، فلا تجعله أُلعوبةً في يد الظروف الخارجية المتغيرة.

تَغَـيُّرُ الاتجـاهات

من الثابت والمؤكد ان الاتجاهات والعواطف التي تتكون لدى الافراد في طفولتهم في محيط الاسرة، لا يمكن تغييرها أو تحويلها بأي حال عن هذا الطريق، كالاتجاهات الدينية، والقومية. بيد انه من الممكن تحويرها أو تغييرها بعد هذه المرحلة، من حيث ان معظم النشاط الانساني موجه نحو الافراد اكثر منه نحو الاشياء. وهذا يعني انه من الممكن ان يغير الافراد من اتجاهاتهم. فالواعظ الديني، والبائع، والمعلن، والمشرف الاداري، والمصلح الاجتماعي، وغيرهم، يحاولون التأثير على الافراد املا في تغيير اتجاهاتهم.

ويتوقف تغير الاتجاهات في الغالب عند الحصول على معلومات جديدة، تتعلق بموضوع الاتجاه من وجهة نظر صاحب الاتجاه نفسه، سواء كانت هذه العلاقة مباشرة أو غير مباشرة. ولا بد ان تكون هذه المعلومات الجديدة متعلقة بخصائص موضوع الاتجاه، وهذه المعلومات قد تضيف الى الخصائص المهمة لموضوع الاتجاه اشياء جديدة، أو تنقص منها.

ان السبب الرئيسي في تغير الاتجاهات هو الحصول على معلومات جديدة تتعلق بموضوع الاتجاه، وتغير هذه المعلومات من ادراك الفرد لخصائص الموضوع بما يعدل من اتجاهاته نحوه، وفي بعض الاحيان قد لا تغير المعلومات من ادراك الفرد لخصائص الموضوع، ولكنها تعيد تحديد العلاقة بين الفرد وموضوع الاتجاه، ولنجاح هذه المعلومات في تغيير الاتجاهات، لا بد ان تعكس تفهما واضحا للعلاقة بين الفرد وموضوع الاتجاه، فالاتجاهات القوية، سواء كانت مؤيدة أو معارضة لموضوع معين اكثر صعوبة في التغيير من الاتجاهات الضعيفة.

ومن الملاحظ ان الاطفال اكثر عرضة لتغيير اتجاهاتهم من الكبار في حالة حصولهم على معلومات جديدة تتعارض مع سابق اتجاهاتهم ويعود هذا الى سببين:

أولهما: ان الاطفال قد دربوا على احترام آراء ومعلومات من هم اكبر منهم.

ثانيهما: ان الاطفال عندهم معلومات قليلة ومحددة عن الموضوعات المختلفة.

والسبب الثاني له اهمية خاصة، اذ ان هناك الكثير من الكبار يشتركون مع الاطفال في هذه الخاصية، وهي قلة حصيلتهم من المعلومات عن الموضوعات المختلفة، ولو انهم لا يشتركون مع الاطفال في احترام آراء ومعلومات من يكبرونهم في السن.

ولو لاحظنا سلوك هؤلاء الناس لوجدناهم اكثر عرضة من غيرهم لتغيير اتجاهاتهم في ظروف معينة، وينطبق هذا على محدودي الثقافة والعلم، كما ينطبق ايضا، على المتعلمين والمثقفين عندما يشعرون ان معلوماتهم السابقة كانت قاصرة أو محدودة بالنسبة لموضوع معين. فهم في هذه الحالة يصبحون عرضة لتغيير اتجاهاتهم عند حصولهم على معلومات جديدة.

المـيُول المكْـتَسَبَة

ان الميول المكتسبة نوع من الاتجاهات، وهي اتجاهات موجبة اقدامية، وتقتصر الميول المكتسبة على الاعمال المختلفة، واوجه النشاط، سواء كانت رياضية، او فنية، او عقلية، او مهنية، كالنشاط الاجتماعي، او قرض الشعر، او القيام بالرحلات، او لعب نوع من الرياضة، او القراءة، او جمع طوابع البريد والعملات، وما الى غير ذلك من انواع النشاطات المتعددة. ولا تخرج الطرق التي تكتسب بها الميول عن الطرق التي تكتسب بها الاتجاهات على وجه العموم.

وتختلف ميول الافراد باختلاف اعمارهم، والبيئة التي يعيشون فيها، والثقافة التي يتلقونها، فللأطفال ميولهم الخاصة بهم، وكذلك للشباب ميولهم، وللكبار ميولهم، فالأولاد يميلون الى الالعاب الخشنة العنيفة التي تتطلب مجهودا عضليا، وقراءة سير الابطال، والمغامرين، والمكتشفين، على حين ان البنات يملن الى الالعاب الهادئة التي لا يبذل فيها ادنى مجهود عضلي، والى قراءة القصص الخيالية.

وللميول المكتسبة اثر كبير في تكوين شخصية الافراد، وصحتهم النفسية، وبواسطة هذه الميول يستطيع كل فرد من الافراد ان يستغل اوقات فراغه فيما يحب ويهوى، ويميل اليه.

وكذلك فان للميول الاجتماعية اثراً كبيراً في ملاءمة الفرد للمجتمع، وفي استفادة المجتمع من جهود الفرد. فمثلا الاشتراك في الانشطة الاجتماعية، والعمل من اجل الغير جدير بأن يحد من انانية الفرد وانطوائه، ويرضي الكثير من حاجات الفرد النفسية الاساسية، كحاجته الى التقدير، والى الامن، ويشعر بقيمته من حيث هو عامل في المجتمع، وكل هذا كفيل بأن يكوِّن شخصية الفرد تكوينا سليما متزنا.

ان من الواجب ان تهتم المدارس، وخاصة مدارس المرحلة الاولى، بتكوين الميول الصالحة في نفوس تلاميذها، وتهذيب ما لديهم من اتجاهات ضارة أو عقيمة، وتعميق المفاهيم والميول السليمة لديهم، واستغلال الميول في تعليمهم، وتكوين شخصياتهم، والاهتمام بالكشف عن الميول غير الظاهرة لدى التلاميذ، حتى تتمكن من افادتهم في توجيههم العلمي او المهني، ومن ثم نستطيع ان نوجد افرادا اسوياء، يمكنهم ان يعيشوا في وفاق وسلام مع انفسهم من جهة، ومع غيرهم في محيط الاسرة او المجتمع الخارجي من جهة اخـرى □

كشف اللثام

عن أسرار تخريج حديث سيد الأنام صلى الله عليه وسلم

تأليف : د. عبدالموجود محمد عبداللطيف

عرض : د. البشير علي حمد الترابي / المدينة المنورة

لقد حفظ الله تعالى السنَّة المطهَّرة على مر الدهور وقيَّض لها من يتعاهدها من جهابذة العلماء بالحفظ والتبليغ . والاسناد مما خص الله به أمة الاسلام حفظا لسنة رسوله من الدس والتحريف .

ولقد حظيت السنة المشرفة بالخدمة بصورة لم يحظ بها نص ، سوى القرآن الكريم .

ومناهج المحدثين وضوابطهم لنقل الحديث وروايته فريدة لا مثيل لها ، يعرف ذلك من له أدنى معرفة وصلة بعلوم الحديث . وتخريج الحديث من أهم علوم الحديث ، إذ هو الجانب العلمي للمقاييس والضوابط والشروط . بل التخريج هو ثمرة تدريس مادة علوم الحديث .

وقد طالعنا فضيلة الدكتور عبد الموجود محمد عبداللطيف الاستاذ المساعد بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة هذا العام بكتابه « كشف اللثام عن اسرار تخريج أحاديث سيد الأنام » والذي طبع بمكتبة الأزهر للنشر والتوزيع في جزئين . والدكتور من أصحاب التخصص الدقيق في علوم الحديث وفي التخريج على وجه

الخصوص ، لهذا جاء كتابه موفيا بغرضه خادما لموضوعه ، بل هو كتاب فريد في هذا المضمار .

أهمية التخريج

قدّم الدكتور كتابه بمقدمة ذكر فيها ما لقيت السُّنَّة من العناية من علماء الأمة الاسلامية ثم اوضح اهمية التخريج الذي هو موضوع الكتاب « ... فانه ليس هناك من سبيل الى معرفة مواقع أحاديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من المراجع المختلفة والتثبت من ألفاظه ، ومعرفة درجته من حيث الحسن والصحة والضعف والوضع لمشتغل به أو بالفقه أو بالأصول أو باللغة أو بالعقائد او بالتفسير او بالدعوة الى الله ... إلا بدراسة علم التخريج » .

معنى التخريج

قسّم الدكتور الكتاب الى مباحث بدأها بمبحث في معنى التخريج عند المتقدمين والمتأخرين . والتخريج عند المتقدمين هو ايراد الحديث باسناده في مصدر ما من مصادر السنة . وعند المتأخرين هو عزو الحديث بعد التفتيش عن حاله إلى الكتب التي تروى فيها الأحاديث بأسانيد مستقلة .

موضوع التخريج

تحدث بعد ذلك عن موضوع التخريج ومنزلته وفائدته . فموضوع التخريج «هو الحديث النبوي الشريف نفسه» لأنه ، أي التخريج ، وسيلة للتعرف الى موطنه من شتى المصادر . ومنزلة التخريج من المعارف الاسلامية « .. هو من أشرف العلوم اذ يُتوصَّل بـه الى معرفة الأحاديث ودرجتها ، تلك الأحاديث التي هي الأصل الثاني للتشريع ومناط الأحكام وبها يعرف الحلال والحرام » .

أما فائدة علم التخريج ، فهي وضع يد الباحث على الحديث الذي يريده بسرعة ويسر من مواقعه في مصادره المعتمدة والمتنوعة مع معرفة درجته ، كما يساعده على الاحاطة بكثير من الاحاديث وهي ذخيرة المحدث .

مراحل التخريج

وفي مبحث ، تابع المؤلف مراحل التخريج من بدايته حتى تمامه وظهور المصادر المعتبرة عند المحدثين وبيان الاسبق منها ، وضمن ذلك الحديث عن الكتابة في العهد النبوي ، وعن منعها اولا وجوازها ثانيا . والتدوين والأطوار التي مر بها تدوين الحديث النبوي الشريف . وتدوين الحديث قد بدأ بين يدي رسول الله ، ﷺ ، وخير شاهد على ذلك صحف الصحابة وأشهرها صحيفة عبدالله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، التي كتبها بين يدي رسول لله ، ﷺ . وقد كتب غيره من الصحابة ثم كتب التابعون .. ولكنه كان تدوينا فرديا .

ثم تدخلت الدولة الاسلامية رسميا في عهد عمر ابن عبدالعزيز حين ندب العلماء لكتابة السنة فكتبوها دفترا دفترا كما يقول محمد بن شهاب الزهري ، أحد مدوّني السُّنَّة في ذلك العهد . وكان هذا هو الطور الأول من أطوار التدوين . وجاء بعد ذلك علماء جمعوا الأحاديث على الأبواب ومن هؤلاء ، الإمام مالك ومعمر بن راشد وعبدالله بن المبارك وهشيم بن بشير وابن جريج وطبقتهم .

ثم جاء طور أصحاب المسانيد فرتبوا الأحاديث على أسماء الصحابة الذين رووا تلك الأحاديث . بعد هذا ، جاء العهد الذهبي للسنة حينما جمع البخاري جامعه « الصحيح » وتبعه مسلم في ذلك ، وقد اقتصرا على ايراد الحديث الصحيح فقط ومن مرتبة خاصة ، ثم جـاء بعدهم أصحـاب السُّنن الأربعـة أبـو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه .

وما كاد القرن الثالث ينتهي حتى خرج علماء الحديث على العالم بمدونات ضخمة جمعت احاديث رسول الله ، ﷺ . وان حركة التدوين لتسجل بمداد الفخار لعلماء الاسلام .

طرق التخريج

وبعد أطوار التدوين ، ذكر المؤلف طرق التخريج على وجه الاجمال وترتيب كل طريق حسب ظهوره . وقد اجملها في ست طرق هي :

★ طريقة الاستقراء والتتبع .

★ طريقة ترتيب الأحاديث على الأبواب الفقهية .

★ طريقة ترتيب الأحاديث على حسب الراوي الأعلى لها .

★ طريقة ترتيب الأحاديث على حسب حروف المعجم .

★ طريقة ترتيب الأحاديث على الموضوعات المتعددة .

★ طريقة ترتيب الأحاديث على ألفاظ المعاجم .

وهذه الطرق يلزم معرفتها لكل باحث في السُّنَّة ولا تغني واحدة عن الأخرى ، ثم أورد حديثا كمثال لمعرفة كيفية تخريجه من المصادر المعتبرة على ضوء كل واحدة من طرق التخريج المختلفة .

بعد هذا فصّل المؤلف طرق التخريج المذكورة تفصيلا مطولا بعد ان كان اجملها مبينا عيوب ومميزات كل طريقة على حدة ، وقام بضرب الأمثلة من الأحاديث النبوية حتى تتضافر القاعدة مع التطبيق في ذهن الدارس مع بيان كيفية دراسة الأسانيد والحكم عليها . وقد أفرد لكل طريقة مبحثا .

طريقة ترتيب الأحاديث على الكتب والأبواب الفقهية

اعتنى المؤلف بصفة خاصة بالطريقة الثانية من طرق التخريج وهي طريقة ترتيب الاحاديث على الأبواب والكتب الفقهية وقال « ... انها ترتكز على اسس قوية تمتد جذورها الى عهد الصحابة ، رضوان الله تعالى عليهم ، وذلك عندما جمعوا بعض الأحاديث النبوية التي تشتمل على باب واحد وأودعوها في مؤلفات وذلك ككتاب « الفرائض » لزيد بن ثابت ، رضي الله عنه ، وكتاب « استفتاح الصلاة » لأبي رافع ، رضي الله عنه ، وغير ذلك من مؤلفات الصحابة .

وعندما تطورت هذه المؤلفات بعد ظهور عهد التأليف المنهجي والتي بدأت بنهاية الربع الأول من القرن الثاني الهجري حتى أوائل الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ، وجدنا ان طابع التأليف على الكتب والأبواب الفقهية قد انتشر وبخاصة بعد الربع الاول من القرن الثالث الهجري ... » .

وعن خصائص هذه الطريقة يقول : « .. تعتمد هذه الطريقة أول ما تعتمد على ثلاثة امور :

★ وفرة التذوق الحديثي الفطري عند الباحث .

★ شمول الحديث على ما يساعد الباحث على الاستنباط الفقهي منه كالصلاة او العتق او غير ذلك .

★ تنمية ملكة التذوق الفطري بكثرة الاطلاع على مراجع هذه الطريقة » .

ثم ذكر الدكتور أهم المراجع التي تنتهج هذه الطريقة وهي اما مراجع شارحة للأحاديث « كفتح الباري بشرح صحيح البخاري » لابن حجر ، أو مراجع مختصرة لأحاديث احد المصادر المفيدة « كمختصر سنن ابي داود » للمنذري . وذكر بهذا الصدد أغلب مصادر الحديث مبينا طرقها في التخريج وفهارس ابوابها على وجه الدقة .

الطرق الأخرى

كما قلنا ، فقد تناولها المؤلف في مباحث مستقلة على هذا النحو ذاكرا نبذة عن تاريخها ، خصائصها ومميزاتها ، وأهم عيوبها ، والمراجع التي تندرج تحتها ، وكيفية تخريج الحديث على ضوئها .

وفي آخر الكتاب ، عقد المؤلف مبحثا هاما تناول فيه امورا مهمة في كيفية دراسة الحديث اسنادا ومتنا ، فتكلم عن المهام التي ينبغي ان يضطلع بها المحدث : منزلة الاسناد وأهمية دراسته ، الجرح والتعديل شرعيته وتاريخه ، مراحل دراسة اسناد الحديث ومتنه، وفصَّل هذا الموضوع تفصيلا دقيقا وافيا . وهذا المبحث هو ختام الكتاب وانفع المباحث ، فهو مسك الختام .

ملاحظات

★ راعى المؤلف في المراجع التي ذكرها ما كان منها مطبوعا أن يشير الى اسم المطبعة وتاريخ الطباعة علما بأنه رجع الى اكثر من اربعمائة مرجع .

★ الكتاب فريد في بابه وقد أحسن المؤلف فيه وأجاد . ويستفيد منه طلاب الحديث وكل مهتم بالدراسات الحديثية خاصة والدراسات الاسلامية بوجه عام □

الجراد ... الخطر الزّاحف مع الرِّيح

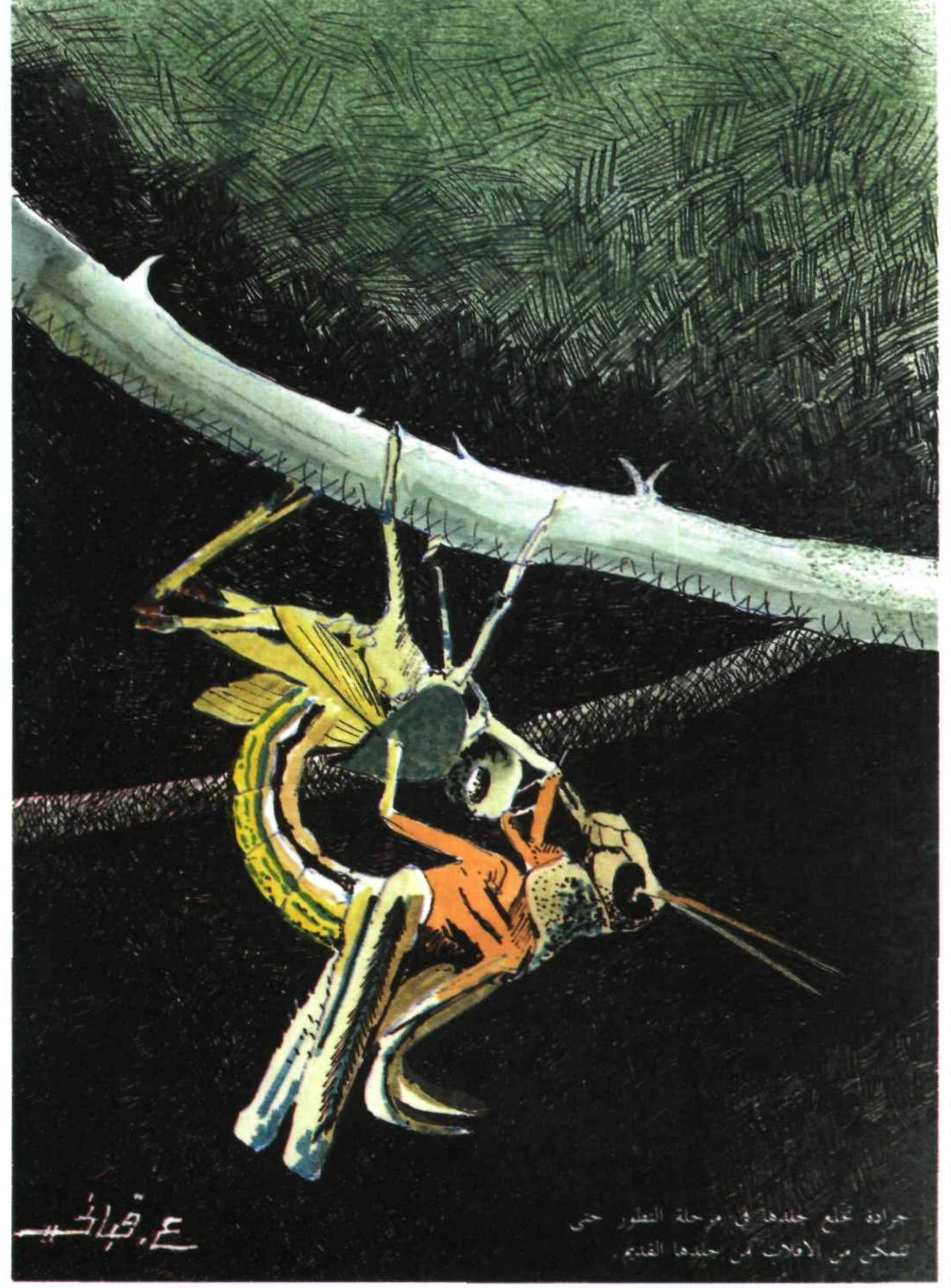
يعـقوب سـلام / هيئة التحـرير

الجراد حشرات عدوانية الطبـــاع، زودها الله بأسنان حادة وقدرة هائلة على التهام كل ما يعترض طريقها من زرع أو نبات. وهي سريعة التكاثر، تحتشد بأعداد هائلة، وتتخذ من الرياح بساطا لتنقلاتها من منطقة الى اخرى في بحثها الدائب عن مصدر غذاء جديد وأرض جديدة تنشر فيها الخراب والدمار.

والجراد غضب من عند الله، فاذا غضب الله على قوم أرسل عليهم الجراد فأكل زرعهم وثمارهم. قال الله تعالى ﴿**فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل**﴾. كان ذلك انتقاما من آل فرعون لما دعا عليهم موسى، عليه السلام، فأرسل الله عليهم الطوفان، وهو ماء دخل بيوتهم ووصل الى حلوق الجالسين سبعة ايام ..، و «الجراد» فأكل زرعهـــم وثمارهم.

والجراد رغم مضاره الشديدة الا انه لا يخلو من نفع ولو كان يسيرا وخاصة في الأزمان الماضية، حيث كان ينظر اليه كأحد مصادر الغذاء والبروتينات، وكان السكـــان يجمعون الجراد ويأكلونه اما مشويا أو مقليا أو نيئا. كان ذلك في الماضي، أما اليوم، فقد تكاثفت الهيئات الدولية وفرق مكافحة الجراد، وتمكنت من تطوير وسائل المكافحة، والسيطرة على أسرابه بعد معرفة أماكن تكاثره وانتشاره.

والجراد من رتبـــة الحشرات مستقيمة الأجنحة، ومن أهم ميزاته قدرته على تكوين أسراب من مجموعات هائلة تستطيع الهجرة مسافات طويلة مفسدة بذلك كل أنواع الحياة النباتية التي تصادفها. ويحتشد الجراد في بداية الأمر في اسراب صغيرة يكون ضررها محدودا. ويبدأ الحشد الكبير دائما في مناطق معينة تدعى



جرادة تخلع جلدها في مرحلة التطور حتى تتمكن من الافلات من جلدها القديم.

مناطق الانفجار، ومعرفة هذه المناطق على جانب كبير من الأهمية في مراقبة الجراد ومكافحته قبل استفحاله واشتداد خطره.

الجراد أنواعه وأصنافه

الجراد أنواع متعددة ومعظمها يندرج ضمن ما يسمى بـ «النطاطات ذات القرون القصيرة» التي تزقزق في الحقول والمناطق الاستوائية وشبه الاستوائية الكبيرة. وتنتمي جميع النطاطات الى فصيلة «أكريديدي — Acrididac» التي بدورها تتبع رتبة الحشرات مستقيمة الأجنحة — «Orthoptera».

وقرون الاستشعار في فصيلة «اكريديدي»، لا هي طويلة ولا خيطية، وفيما عدا ذلك، فهي تشبه بقية انواع مستقيمة الاجنحة في أن لها فكوكا وأرجلا خلفية قوية. ويحدث الجنسان صريرا، وذلك بحك فخذ الرجل الخلفية بالجناح الامامي، وتفعل الذكور ذلك بنشاط أوفر من الاناث وتوجد أعضاء للسمع في «الاكريديدي» أسفل البطن. وتنمو الصغار، كما هي الحال في أفراد أخرى من مستقيمة الاجنحة تدريجيا دون طور يرقي أو طور عذراوي، والبالغة فقط لها أجنحة كاملة. و «الجراد — Locust» الصغير يسمى «النطاط — Hopper» وفي مقدوره إحداث الكثير من التلف. ويستثنى الجراد من فصيلة مستقيمة الأجنحة في كونه قوي الطيران، ويمكن لسرب منه أن يطير طيرانا متواصلا ليوم كامل قاطعا عدة مئات من الكيلومترات.

وتتميز الأرجل الخلفية للجراد ومعظم النطاطات بأنها أطول وأقوى من الأرجل الأمامية. أما الاجنحة الأمامية في أنواع الجراد القادرة على الطيران والتي تنتمي الى الفصيلة مستقيمة الأجنحة، فتكون عادة أضيق من الأجنحة الخلفية، وتسمى «الأجنحة الجلدية — Tegmina»، ووظيفتها حماية الأجنحة الخلفية التي تكون منطوية كالمروحة تحت الأجنحة الجلدية عندما تكون الحشرة في حالة سكون.

وقد تسبب الجراد في إحداث كوارث شديدة في عدد من الأقطار الافريقية بسبب التلف الشديد الذي ألحقه بالمزروعات والنباتات التي تعتبر عماد الحياة في تلك الاقطار. ويعد غزوه لأي قطر نذير شؤم. وعلى سبيل المثال، فقدت اثيوبيا عام ١٩٥٨ حوالي ١٦٧ ألف طن من الحبوب بفعل الجراد، وهي كمية كافية لاطعام أكثر من مليون نسمة من سكانها لمدة عام.

كما جاء في تقديرات عام ١٩٥٨ ان أسرابا من الجراد شوهدت في الصومال قد غطت مساحة مقدارها ٤٠٠ ميل مربع من الأرض، وقدرت أعداد الجراد آنذاك بما يزيد على ٤٠ بليون جرادة تحتاج الى أكثر من ٨٠ الف طن من الغذاء في اليوم الواحد.

وقد اثبتت الأبحاث الميدانية والمخبرية ان الجرادة تستطيع العيش مدة أربعة أيام بدون طعام وتتغذى خلالها بما تكتنزه من شحم في جسمها خلال توفر الغذاء، وهي تستطيع البقاء في ظروف صعبة للغاية ولا سيما في أوقات الجفاف والقحط التي تسود المناطق الصحراوية التي تتوالد فيها، وهي مزودة فسيولوجيا بما يكفل لها البقاء في مختلف الأجواء.

كما ان أسراب الجراد تطير في العادة مع الريح، أي انها تنتقل بواسطتها من منطقة الى اخرى ومن بلد الى آخر، وتستطيع أسراب الجراد ان تطير باستمرار مدة اثنتي عشرة ساعة، لكنها تتأثر ببرد الصحراء وخاصة أثناء الليل حيث تتصلب عضلاتها وتصبح غير قادرة على الطيران. كما اثبتت الأبحاث ان الجراد يحب الاستجمام تحت أشعة الشمس قبل أن يشرع في الطيران. ولا يستطيع الجراد الطيران حتى تصل حرارة أجسامها ٧٠ درجة فرنهايت.

أحد الرسوم البدائية التي عثر عليها في ضريح لأحد فراعنة مصر في القرن ١٥ قبل الميلاد، وهو يمثل جرادة جاثمة فوق زهرة نبات البردي.



هناك سؤال يتردد بالحاح وهو من أين تأتي أسراب الجراد؟ لقد اكتشف السير «Boris Uvarov» من مركز أبحاث مقاومة الجراد في لندن عام ١٩٢١ أن أنواع النطاطات الافريقية والآسيوية هي أنواع الجراد نفسها المعروفة بالشراهة لكن بشكل آخر. ويعدد مراحل نمو الجراد قائلا، عندما تهطل الأمطار بصورة متكررة وتبتل رمال الصحراء يأخذ الجراد بتفقيس الآلاف من البيض. وتلامس النطاطات بعضها البعض، فتحدث تغييرات في السلوك واللون، حيث تسرع الواحدة من هذه النطاطات في البحث عن الأخرى بهدف التزاوج، ثم تتغير الوانها الى اللون الأصفر، فالأسود فالاحمر.

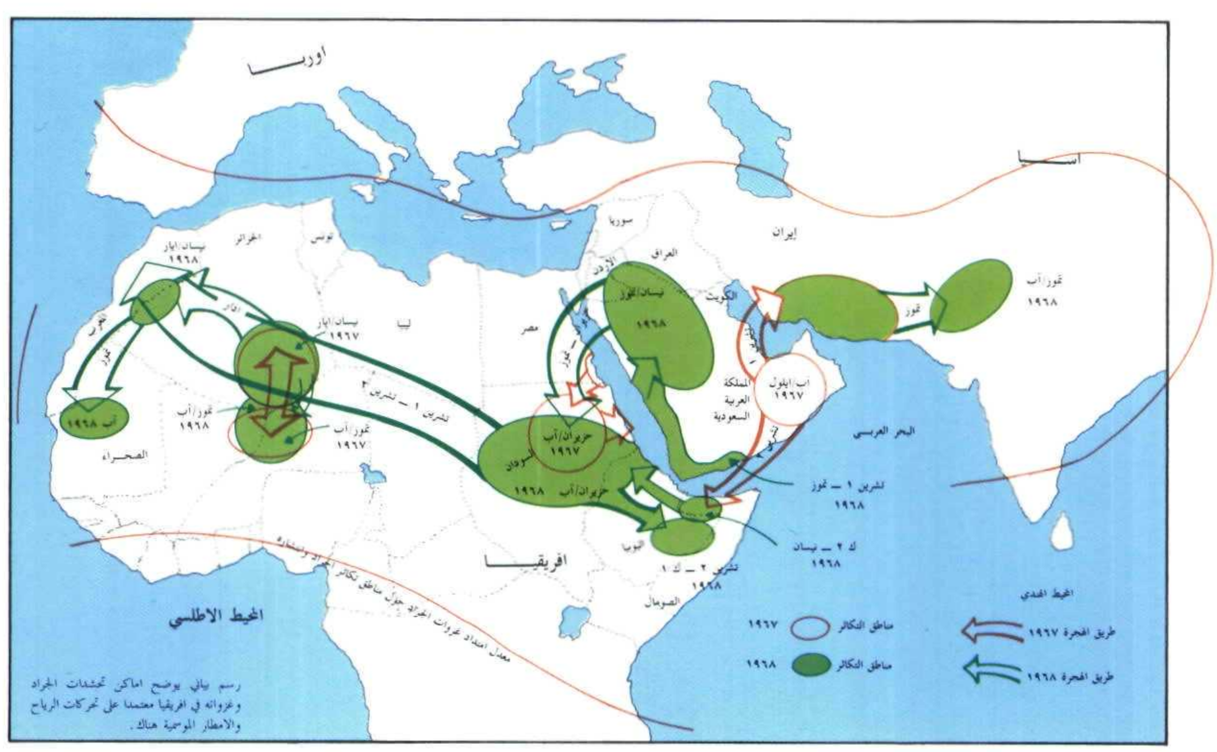
وقد دعم السير «Boris Uvarov» نظرياته عن الجراد بسلسلة من الابحاث والتجارب التي أجراها في مركز أبحاث الجراد في لندن والذي انشأه بنفسه. وقد منح لقب «فارس» وذلك تقديرا للابحاث القيمة التي اجراها في المعهد بهذا الصدد، والتي مكنت العلماء وفرق مكافحة الجراد من استنباط الوسائل الحديثة الكفيلة بمقاومة هذه الآفة الحشرية الخطيرة.

الجراد.. أنواعه وخصائصه

★ كاليبتامس ايتالكس — Calliptamus italicus: جنس واحد فقط، وهذا النوع يخشى منه في جنوب اوروبا، وهو جراد البحر المتوسط. وهذا النوع يتلف الزراعة ولكن على نطاق محدود نظرا لصغر حجم الجرادة. ويبلغ طول الانثى منه ٢,٥ سم، في حين يقل طول الذكر عن ذلك بقليل.

★ النطاط طويل الأنف — Truxalisna: تنتشر هذه الجرادة الغريبة الشكل في البلاد المحيطة بالبحر المتوسط ورأسها مسحوب الى نقطة العيون. وتقع قرون الاستشعار بجانبي الرأس الى الأعلى منه ويمتد الفم الى الخلف قليلا. وعندما تكون الحشرة بين الخضرة والحشائش قد يميل لونها الى الأخضر أو البني. وتبدو مثل نصل النخيل بقرون استشعارها البارزة الى الأمام.

احدى الطائرات التابعة لمنظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة تقوم بعملية رش المبيدات الحشرية فوق احدى المناطق الموبوءة .



رسم بياني يوضح اماكن تحشدات الجراد وغزواته في افريقيا معتمدا على تحركات الرياح والامطار الموسمية هناك .

★ **جرادة الصحراء ـ Schistocercagregaria** : وهذه اكثر أنواع الجراد ضررا حيث تحتشد في مجموعات كبيرة في أية منطقة تمتد اليها، ولهذا فليس هناك مناطق معينة (مناطق انفجار) لمراقبتها، ولاتخاذ الاحتياطات اللازمة للقضاء على الاحتشاد قبل البدء في الهجرة. وهذه أجناس كبيرة في حجم الجراد المصري، ويمتد وجودها من منتصف شمال افريقيا، عبر شبه جزيرة العرب وايران حتى الهند.

★ **جراد مهاجر ـ Locusta Migratoria** : وهذا النوع يتسبب في إحداث أضرار جسيمة. ويبدأ احتشاده في مناطق محددة غالبا ما تكون في دلتا الأنهار المحاطة بمناطق شبه صحراوية، ولون النطاط منه في الحالات الفردية، بني قاتم، أو اخضر، ولكن لون النطاط المحتشد يميل الى الاسوداد يتخلله نقط برتقالية.

★ **اوديبودا جرمانيكا واوديبـــودا كوريولسنس**: يكثر وجود هذين النوعين من الجراد في اوروبا، وأجسامهما وأجنحتهما الأمامية ملونة لتلائم البيئة المحيطة بها.

★ **جـراد البحـر الأبيض المتوسـط ـ Dociostaurus/maroccanus** : وهذا النوع صغير الحجم لا يزيد طول الجرادة على ٢,٥ سم، وتستوطن في شمال افريقيا وبلاد جنوب اوروبا. وعلى الرغم من صغر حجمها، فـان حشدا منها يمكن أن يسبب أضرارا بالغة. ففي عام ١٩٢٩ تم القضاء على حوالي ١٠٠ ألف مليون حشرة في مقاطعة فوجيا الايطالية. وهي جرادة قصيرة وبدينة الى حد ما ويتدرج لونها من الأخضر الى البني وتضع الأنثى منها حوالي ١٤٠ بيضة.

★ **سوفس ستريديولس ـ Psophus Stridulus** : وهو نوع من النطاط يكثر وجوده في أنحاء كثيرة من آسيا وأوروبا وليس لديه ميل للاحتشاد، كما أنه لا يلحق تلفا كبيرا بالمزروعات.

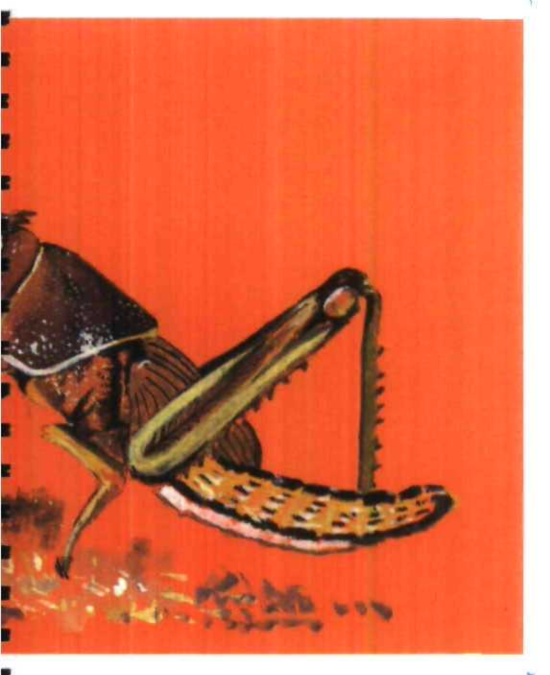
★ **الجراد المصري ـ Anacridium aegypticum** : وهو نوع من الجراد الكبير يصل طول الأنثى منه الى حوالي ٧,٥ سم بينما يبلغ طول الذكر نصف هذا الطول. وهو يوجد في جميع البلاد المحيطة بالبحر المتوسط. ومن حسن الحظ ان هذه الحشرة لا تكوِّن حشدا ولكنها تعيش في مجاميع صغيرة في مناطق زراعية برية ومتفرقة، وهي بذلك لا تحدث أضراراً كبيرة في المزروعات، اما لونها فهو، أخضر أو بني وبذلك يمكنها التخفي في المزارع الجافة.

والجراد بشكل عام يصنف الى حوالي خمسين صنفا وتعرف بالنطاطات، وهي تتغذى بشكل رئيسي على الأعشاب، بينما هناك أنواع عديدة منها تتغذى على النباتات. ويعيش معظم هذه النطاطات قريبا من الأماكن التي تضع فيها بيضها. ويفقس البيض في المناطق الباردة في مطلع الصيف حيث تتغذى اليرقات على ما حولها من الأعشاب. أما في المناطق الحارة، فان هذه الحشرات تستطيع انتاج ثلاثة أجيال اذا ما كانت الظروف مواتية لذلك.

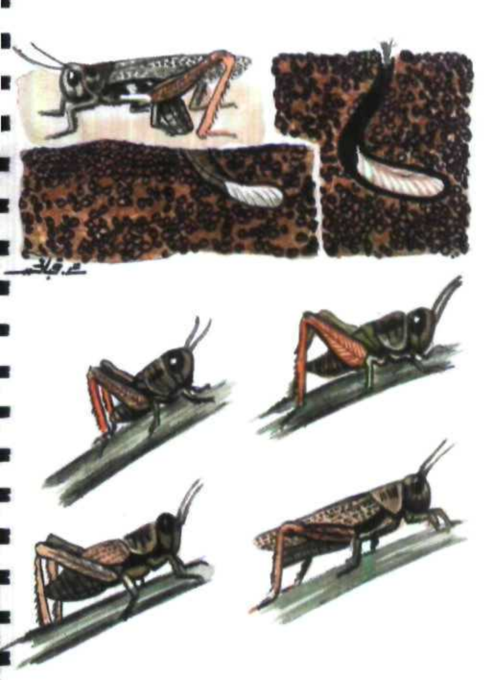
مـراحل نمو الجـراد

يجد الجراد، في المناطق الحارة حيث يستمر موسم الخضار على مدار السنة، صعوبة في التكاثر، لأن جذور النبات تكون كثيفة في باطن الأرض بحيث يتعذر على الاناث وضع البيض، لذا فان الجراد في مثل هذه المناطق لا يتكاثر اكثر من مرة في العام. وبخلاف ذلك، تتيح المناطق الجرداء الفرصة للنمو والتكاثر اكثر من مرة في السنة، لانه بأستطاعة الاناث العثور على أماكن في الأرض الجرداء مليئة بالرمال صالحة لوضع البيض والتفقيس. ففي المنطقة الأولى، يكون التكاثر سنويا، أما في المنطقة الثانية فتكون عملية التكاثر اكثر من مرة، لذا فانه كلما توفر الطعام قلت فرص وضع البيض.

يطلق اسم الجراد على النطاطات الاكبر حجما حيث ينظر اليها على أنها حشرات انتهازية، اي انها تنتهز الفرص للتكاثر ثم تطير في مجموعات هائلة الى مناطق أخرى حيث يتوفر الغذاء الكافي. وهناك الجراد الاحمر الافريقي الذي يوجد باعداد صغيرة في جميع انحاء افريقيا، وهو في العادة، لا يبتعد كثيرا عن أماكن تفقيسه. وتشكل الوديان المعرضة للفيضانات في بعض مناطق افريقيا، وبالتحديد في تانزانيا، أماكن مثالية لتكاثر الجراد الاحمر حيث تعتبر هذه المناطق أماكن توالده. ويقوم رعاة الماشية في هذه المناطق، والذين يعتمدون على الحشائش لرعي قطعان الماشية، بحرق الحشائش والأعشاب بهدف نموها مرة اخرى بعد موسم الأمطار. وحالما تبدأ الأمطار بالتساقط تمتلىء البحيرة المجاورة بالأمطار في شهر اكتوبر وكذلك السهول، ثم ينخفض مستوى المياه مرة أخرى. وقبل أن تنمو الأعشاب تضع اناث الجراد بيضها في الأوحال المنتشرة على مساحات واسعة من السهول وخاصة تلك التي جرى حرق الاعشاب فيها. وعندما يفقس البيض في أواخر شهر ديسمبر، تتحول السهول الى مروج خضر مؤمّنة بذلك



١



٢

١ ـــ يقوم مركز ابحاث مكافحة الجراد في لندن باجراء الابحاث اللازمة لمعرفة تصرف الجراد حيث يبدأ التزاوج بالملامسة مما يؤدي الى تغييرات في تصرفات الجراد.

٢ ـــ رسم يمثل مراحل تطور الجرادة منذ وضع البيض، والتفقيس الى ان تصل الى طور الجرادة الكاملة القادرة على الطيران.

٣ ـــ جرادة تدفع الجزء الاسفل من بطنها ضعف طوله داخل الرمال الرطبة لتضع بيضها الذي يبلغ حجم حبة الارز. وتضع الجرادة خلال اربعة اسابيع من عمرها حوالي ٢٠٠ بيضة.

٣





موردا جيدا للنطاطات الحديثة التفقيس. وعندما تنمو أجنحة النطاطات في شهر مارس، تكون الأعشاب قد يبست مرة أخرى وتغير لونها، عندها تقوم أسراب الجراد بالهجرة باعداد هائلة تبلغ مئات الملايين.

ولمكافحة هذه الأسراب، تم انشاء مؤسسة دولية في عام ١٩٤١ مهمتها الحيلولة دون وقوع مثل هذه الاحداث. ولم تبذل أية جهود للقضاء على الجراد الاحمر في معظم انحاء افريقيا. وقد تركز جهد المؤسسة الدولية بالكامل على عدد من الوديان التي تعتبر بقعة صالحة لتكاثر الجراد ومن ثم يتم فيها الحشد الهائل. والجدير بالذكر أنه منذ عام ١٩٤٤ وبفضل الجهود التي بذلتها المؤسسة في مكافحة الجراد لم يستطع أي حشد من الجراد الافلات أو مهاجمة بقية أنحاء القارة الافريقية.

هنالك نوع آخر من الجراد يعتمد في تكاثره على السهول المعرضة لمياه الفيضانات، يعرف باسم الجراد المهاجر. ويكثر وجوده ايضا في السهول الواقعة جنوبي فرنسا حول مصب نهر الرون. كما يتكاثر هذا الجراد في السهول المعرضة لمياه الفيضانات الواقعة حول نهر النيجر في جمهورية مالي. وقد شوهد بعض من هذا النوع على ساحل البحر الاحمر. وخلال موسم الأمطار في شهري اغسطس وسبتمبر، عندما تغمر مياه الفيضانات السهول تتراجع اسراب الجراد الى التلال المجاورة والتي تكون أكثر جفافا، وتضع بيضها على حواف التلال. وعندما تأخذ مياه الفيضانات بالانحسار، تبدأ مستعمرات الجراد التي تضم الأجيال الجديدة من الجراد بالتجمع في السهول المكشوفة بعد تراجع مياه الفيضانات، وتأخذ في وضع البيض في الأراضي الجرداء. وقد يتمكن الجراد من وضع البيض مرتين اذا ما تأخرت عملية انحسار مياه الفيضانات بسبب الأمطار الغزيرة. وعندما تجف النباتات والأعشاب، تتحرك أسراب الجراد لتغزو جميع أنحاء القارة الافريقية. وقد تمكنت المؤسسة الدولية لمكافحة الجراد ومقرها الرئيسي في جمهورية مالي، منذ عام ١٩٤٨ من الحيلولة دون وقوع أية كوارث ناجمة عن الجراد، ولعل الجراد الصحراوي هو أكثر أنواع الجراد انتهازاً للفرص. وتستطيع أسراب هذا الجراد ان تغزو ٢٠ في المائة من سطح الكرة الارضية امتدادا من اسبانيا وحتى شرق الباكستان، وان تلحق الضرر باكثر من ١٠ في المائة من مجموع سكان العالم. وبخلاف أنواع الجراد الأخرى، فليس لدى الجراد الصحراوي أماكن احتشاد معينة لكنه يستطيع الاحتشاد في أي مكان من منطقة الغزو لا يزيد ارتفاعها على ستة آلاف قدم، وهو يتكاثر خلال موسم هطول الأمطار فقط.

الأقمار الصناعية تدعم رصد تحركات الجراد

تسهم محطة الاقمار الصناعية الامريكية الخاصة بالارصاد الجوية ومقرها مدينة اسمرة، بنشاطات حقيقية وفعالة في تتبع أسراب الجراد وتعيين أماكن فقس الأجيال الجديدة من هذه الحشرات القاتلة وخاصة في القارة الافريقية. وعن مهمة هذه المحطة ازاء مقاومة أسراب الجراد وتتبع حركاته، يقول أحد علماء الأرصاد الجوية، بأنه نظرا الى أن الجراد من عادته التحرك في اتجاه الرياح، فان اسرابه تتجمع في النهاية وتتراكم في نقطة تدعى «نقطة التقاء الرياح».

وهناك قمر صناعي امريكي آخر يوضح الاماكن التي يمكن فيها السيطرة على الجراد بشكل اكثر دقة. وهو مزود باجهزة حساسة وآلات تصوير قادرة على معرفة أماكن مزارع الخضروات في الصحراء، اذ ان ظهور اي نمو جديد في تلك المناطق يدل على أن أمطارا قد هطلت على المنطقة، وان التربة رطبة الى درجة كافية لنمو الجراد، وتتزايد اعداد اسرابه.

وتلعب الاقمار الصناعية دورا اساسيا في تزويد المراصد الارضية بمثل هذه المعلومات عن أماكن وضع بيض الجراد وتجمعات اسرابه، ثم تنقل هذه المعلومات الى مراكز المراقبة لتحليلها وتفسيرها علميا يتقرر في ضوئها إرسال البعثات الخاصة بمكافحة الجراد بالطرق العلمية الحديثة المتوفرة لدى فرق مكافحة الجراد.

الجراد كأحد مصادر البروتين

كان الجراد يعتبر طعاما مستساغا لدى السكان المحليين في معظم الاقطار الافريقية والشرق الاوسط والهند والصين، بل انه كان في بعض هذه الأقطار يعتبر طعاما مفضلا لدى سكانها، وقد جاء في كتاب البروفسور «ف. بودينهمر» عن الحشرات كطعام بشري قوله: لقد كان سكان المناطق الصحراوية في افريقيا ينظرون الى الجراد كمصدر رئيسي للمواد البروتينية الحيوانية، ولذلك كانوا ينتظرون قدوم اسراب الجراد، وخاصة خلال فترات القحط ليتزودوا بما يحتاجون اليه من البروتينات الكامنة في الجراد، ولولا اسراب الجراد لماتت اعداد كبيرة من سكان الصحراء جوعا.

لقد كان سكان الصحراء يجمعون الجراد ويصنعون منه طعاما شهيا، فمنهم من كان يأكله مشويا أو مقليا أو محمرا، ومنهم من كان يجمعه ويعرضه للشمس ليجف ومن ثم يجري طحنه وخزنه لوقت الحاجة. كما كان بعضهم يأكل الجراد نيئا بعد نزع اجنحته وارجله. ومن ناحية اخرى فالجراد يشكل مصدرا غذائيا لانواع عديدة من الطيور.

ان الجهود التي تبذلها الهيئات والمؤسسات الدولية الى جانب تطوير الوسائل الفعالة لمكافحة الجراد ستسهم، ولا شك، في وضع حد لهذه الآفة الحشرية التي تتربص بالزرع لانزال افدح الكوارث به. □



جرادة تجهز على ورقة نبات . وتحتاج الجرادة الى ما يعادل وزنها من الغذاء يوميا ، ومع ذلك فهي قادرة على البقاء دون غذاء اربعة ايام تتغذى خلالها على المواد الدهنية الكامنة في جسمها .



راجع مقال: طيور الحبارى